جامعة جيلالي ليابس– سيدي بلعباس –

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم العلوم الإنسانية



التحول المذهبي في العهد الصنهاجي و أثره على بلاد المغرب الأوسط

من القرن (3 – 5 هـ / 9 – 11 م)

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص تاريخ و حضارة المغرب الأوسط

إعداد الطالب:

بن كرمة يوسف

تحت إ شراف

أ : يطو فتيحة

أعضاء لجنة المناقشة

– أ.د / بوشنافي محمد	قسم العلوم الإنسانية	رئيسا.
– أ / يطو فتيحة	قسم العلوم الإنسانية	مشرفا ومقررا.
– د / سحولي بشير	قسم العلوم الإنسانية	مناقشا.

السنة الجامعية: 2016/2015


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على النبي الكريم ، أشكر الله المولى تعالى الذي وفقني لهذا العمل .

إلى روح والدتي رحمها الله التي ربتني و سهرت على نجاحي إلى أن وصلت لما أن عليه اليوم إلى والدي الكريم حفظه الله ورعاه إلى عائلتي إلى كل من أحبهم إلى كل صاحب علم نافع لوطنه وأمته .

أتوجه بالشكر الجزيل وإحترام الكبير إلى الأستاذة المحترمة يطو فتيحة التي ساعدتني كثيراً في إنجاز هذه المذكرة و قد إستفدت كثيراً من توجيهاتها و النصائح التي كانت تقدمها لي في تتبع خطوات البحث .

وفي الأخير أشكر كل من ساعدني ووقف إلى جانبي في إنجاز هذه المذكرة .

- خطة البحث -

مقدمة :

مدخل : لمحة عن المغرب الأوسط مذهبيًا قبل قيام الدولة الفاطمية .

الفصل الأول : المذهب الإسماعيلي بالمغرب الأوسط .

- خصائص المذهب الإسماعيلي و عوامل إنتشاره في المغرب الأوسط .

- الدور الكتامي الصنهاجي في توطيد أركان الدولة الفاطمية في المغرب الأوسط .

- السياسة المذهبية الفاطمية في المغرب الأوسط " أثرها و إنعكاساتها " .

الفصل الثاني : الدور الصنهاجي في العودة إلى المذهب السني .

- المذهب السني " المالكي " في ضل الدولة الحمادية .

- دور زيرين في تبني المذهب السني المالكي " أسبابه ومظاهره " .

الفصل الثالث : أثر التحول على المغرب الأوسط " الهجرة الهلالية " .

- الأثر السياسي .

- الأثر الإقتصادي و المالي .

- الأثر الإجتماعي و الثقافي .

الخاتمة :

-قائمة المختصرات :

-ص : الصفحة

-م : ميلادي

- هـ: هجري

- ع : العدد

-ط : الطابعة

- تح : تحقيق

- تر : ترجمة

- ج : الجزء

-ت : توفي

المقدمة

ظهرت في بلاد المغرب الأوسط عدة مذاهب عقدية ، و التي وجدت في بلاد المغرب عامة أرضًا خصبة لضمان إستقرارها و إستمرارها في ضل الإضدهاد و الملاحقة التي إعترضتها في بلاد المشرق الإسلامي ، إلا أن الصراع المذهبي ضل قائمَا في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الوسيط و أبز دليل على ذلك التحول المذهبي الذي عرفته بلاد المغرب في القرن " 3 - 5 هـ/ 9 - 10م " ، حيث شكل هذا التحول حدثًا حلسمًا في تاريخ المغرب الأوسط ، خاصًا و أن مذهب الدولة الفاطمية الشيعي الإسماعيليي قام على أساس دعوة تبنتها نزعة عصبية كتامية و توطدت أركانها بشكل كبير في عهد حكم الصنهاجيين الذين لهم أيضًا دور حاسم في العودة إلى أحضان المذهب السني الذي ضل راسخًا في جل الأواسط المغربية رغم ما تعرض له أتباعه من صدمات و محن من قبل المذاهب الإسلامية الأخرى ، كما يعتبر دور الحماديين و الزيرين في تبني المذهب السني ثم إعلانهم الولاء للخلافة العباسية السنية إنتصارًا حقيقيًا لهذا المذهب و كذلك هو رد الإعتبار للرعية التي إرتبطت به إرتباطًا وثيقًا ، و يعتبر التحول المذهبي في العهد الصنهاجي من الفترات الحاسمة في تاريخ المغرب الأوسط حيث لا يمكن تجاوزه أو إهماله ، خاصتًا و أن جل المصادر التاريخية تطرقت لهذا الحدث التاريخي الحاسم و ذلك لأثره الكبير في تغيير الخارطة المذهبية و السياسية و كذلك لتأثيره على الجانب الإقتصادي و خاصتا الجانب الإجتماعي لحدوث أكبر هجرة أثرت بشكل كبير خاصتًا على بلاد المغرب الأوسط .

أما عن دواعي إختياري للموضوع فتكمن في ما يلي : إن هذا الموضوع لطالما ما لفت إنتباهي كباحث في كونه ذو طابع مذهبي فرضته عدة عوامل و تغيرات نتج عنها تحول جذريًا في عقيدة مذهبية و سياسية ، و بما أنني مسلم سني فإني أرى الموضوع بنظرة بطولية إنتصارية لهذا التحول السني و إندثار التشيع الذي كان و لازال مذهبًا غريبًا على سكان بلاد المغرب الأوسط ، كما أن الموضوع في إطاره العام يمثل حلقة من تاريخ و حضارة المغرب الأوسط .

لقد لترسخ المذهب الشيعي الإسماعيلي في المغرب الأوسط بفضل الكتاميين و ذلك في إيطار الخلافة الفاطمية ، إلا أن العهد الصنهاجي كان أكثر مساهمة في الحياة المذهبية و السياسية ، **فما هي مميزات و مظاهر هذا التحول المذهبي وما مدي تأثيره المباشر و الغير المباشر على المغرب الأوسط ؟** . ومن خلال هذه الإشكالية العامة نطرح عدة تساؤلات فرعية جاءت كتالي : - كيف كانت السياسة المذهبية الفاطمية في المغرب الأوسط ؟ و ماهي نتائجها و إنعكاساتها ؟ - كيف تجلى دور الحماديين و الزيرين في رفض التشيع و العودة إلى أحضان السنة ؟ - وما هي أبرز تأثيرات و نتائج التحول المذهبي على بلاد المغرب الأوسط ؟ .

وعن المنهج المتبع في دراستي لهذا الموضوع فقد إعتمدت على المنهج التاريخي و الوصفي و ذلك لوصف معطيات و جوانب هذا التحول المذهبي و مظاهره و نتائجه و وصف أبرز الأحداث التي ميزته في جميع الميادين .

كما إعتمدت في دراستي هذه على : القرآن الكريم برواية ورش و صحيح البخاري ، ثم مجموعة من المصادر منها ما هو سني و منها ما هو شيعي و حتي إباضي ،كذلك إعتمدت على مصادر السير و التراجم و الجغرافيا و كتب الفقه و كتب الفرق ومراجع بالغة الأجنبية و الرسائل الجامعية و الدوريات التي ساعدتني في إثراء هذا الموضوع .

- المصادر السنية : إبن خلدون عبد الرحمن (808ه / 1406م) " ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي شأن الأكبر" حيث تكمن أهميته في كونه مصدر تاريخي هام تطرق لتاريخ العام للعرب و البربر خاصتا فيما يخص الحديث عن التحول المذهبي و التفصيل في الحديث عن الهلالين و موطنهم في المغرب الأوسط ، و إبن عذاري المراكشي " البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب " الذي أفادني كثيرا في إثراء الموضوع ببعض التفاصيل المهمة .

- المصادر الشيعية : **القاضي نعمان بن محمد** (ت 363ه / 973م) " **إفتتاح الدعوة** " وهو مصدر تاريخي مهم تطرق إلى إنتشار الدعوة الإسماعيلية و قيام الدولة الفاطمية بفضل الدور الكبير لقبيلة **كتامة** ، **و** " المجالس و المسايرات " **و " دعائم الإسلام " و** اللذين ساعداني في تعريف بخصائص المذهب الإسماعيلي من ناحية الفقه و المعتقد ، **النوبختي " حسن بن موسى "** ، " فرق الشيعة " وهو مصدر يبرز أهم فرق الشيعة .

- مصادر الجغرفيا : ياقوت الحموي ، **" معجم البلدان "** و هو موسوعة جغرافية هامة تميزت بوصف جغرافي و تاريخي دقيق **لمناطق ومدن المغرب الأوسط** .

- التراجم و السير **و الأنساب** : **إبن خلكان** " أبي العباس شمس الدين" ، وفيات الأعيان و **أنباءُ أبناءِ** الزمان و هو موسوعة تترجم للكثير من الفقهاء **و** الشخصيات سواء **المشارقة أو المغاربة** ، **إبن حزم " أبي محمد علي بن أحمد "** ، جمهرة أنساب العرب ، يتطرق هذا المصدر إلى تعريف ببطون العربية و منها بني هلال و بني سليم .

المراجع :

- بالغة العربية : إدريس هادي روجي ، " الدولة الصنهاجية" ، وهم مرجع مهم و**علم فيما** يخص تاريخ الدولة الصنهاجية بفرعيها **الزيري** و الحمادي و قد أفادني خاصًا في ذكر مميزات التحول المذهبي و العلاقات الحمادية الزيرية في إيطار هذا الصراع المذهبي .

- بالغة الأجنبية : George Marçais : la berbérie musulmane et l’orient au moyen âge وهو مرجع تاريخي مهم .

- الدوريات : **عبد الرءوف " جرار"** ، سقوط الدولة الفاطمية في المغرب ونبذ التشيع ، و هو مقال مهم يخص التحول المذهبي في العهد الصنهاجي .

و لدارسة هذا الموضوع إتبعت خطة مكونة من مقدمة و تمهيد و ثلاثة فصول و خاتمة و قائمة المصادر و المراجع ثم الملاحق و الفهارس . فكان التمهيد تحت عنوان **" لمحة عن** المغرب الأوسط مذهبيًا قبل قيام الخلافة الفاطمية " **، كما تطرقت في الفصل الأول و الذي**

كان بعنوان " المذهب الإسماعيلي بالمغرب الأوسط " تناولت فيه : خصائص المذهب الإسماعيلي عوامل إنتشاره بالمغرب الأوسط و الدور الكتامي الصنهاجي في توطيد أركان الدولة الفاطمية بالمغرب الأوسط و كذلك السياسة المذهبية الفاطمية بالمغرب الأوسط " أثرها و إنعكاساتها " ، و الفصل الثاني الذي كان بعنوان " الدور الصنهاجي في العودة إلى المذهب السني " تناولت فيه : المذهب السني "المالكي" في ضل الدولة الحمادية ثم دور الزيرين في تبني المذهب السني المالكي" أسبابه و مظاهره " ، و الفصل الثالث الذي كان بعنوان " أثر التحول المذهبي على المغرب الأوسط " تناولت فيه : الأثر السياسي ثم الإقتصادي و المالي ثم الأثر الإجتماعي و الثقافي . و خاتمة التي كانت عبارة عن مجموعة من الإستنتاجات .

وعن الصعوبات التي واجهتني في بحثي هذا ، و التي تمثلت في تضارب الروايات التاريخية و تضارب الآراء و كذلك إختلاف المصادر حسب روايات المؤرخين و هو ما صعب الوصول إلى المعلومات و تركيبها .

التمهيد:

لمحة عن المغرب الأوسط مذهبيا قبل قيام الدولة الفاطمية :

كان لإنتقل عبد الرحمان بن رستم إيذانا بظهور الدولة الرستمية[1]، حيث إرتبطت الحياة المذهبية في عصر بني رستم إرتباطا كبيرا بالمذهب الإباضي[2] ، سميت الإباضية بهذا الإسم نسبتًا إلى عبد الله بن إباض الذي تعتبره المصادر الغير الإباضية المؤسس الحقيقي للمذهب أما العلماء الإباضيون فينسبون إلى عبد الله دورا ثانويا بالمقارنة مع جابر بن زيد الأزدي[3] الذي أرسى قواعد المذهب الفقهية وأصوله[4] ، وقد طغت شؤون الدعوة الإباضية على الحياة الفكرية في بلاد المغرب الأوسط[5] ، و أما أبرز العقائد الإباضية فأنهم يحرمون دماء المسلمين وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم كما أنهم إعتبروا دور مخالفيهم دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي وأجازوا مناكحتهم وموارثتهم وغنيمة أموالهم وحرموا قتلهم وسبيهم إلا بعد القتال وإقامة الحجة ، وقالوا في مرتكبي الكبائر أنهم مشركون وإن كفروا كفر نعمة لا ملة ، وتوقفوا في أطفال المشركين و أجازوا تعذيبهم على سبيل الإنتقام ، وكذلك يقولون في مرتكب الكبائر أنه في النار[6] ، حيث يستدلون في قوله تعالى : { وَمَن يَعْصِ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٤ } *, أما دولة بني سليمان التي تنتسب إلى سليمان بن عبد الله أخو إدريس الأكبر

---

(1): محمد عيسى " الحريري " ، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي - حاضرتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس- ، دار القلم ،ط: 1 ، مصر، 1987 ، ص : 73 .

(2): نفسه ، ص : 235

(3): محمد خليفات " عوض " الأصول التاريخية للفرقة الإباضية ، وزارة التراث القومي والثقافة ،ط:3 ، عمان ، 1994 ، ص " 9 .

(4): بكير بن سعيد " أعوشت " ، دراسات إسلامية في أصول الإباضية ، دار التضامن للطباعة ، ط: 1 ، القاهرة ، 1988 ، ص : 16 .

(5): محمد عيسى " الحريري " ، المرجع السابق ، ص : 236 .

(6): عبد الرزاق " محمود إسماعيل " ، الخوارج في بلاد المغرب- حتى منتصف القرن الرابع الهجري- ، دار الثقافة ، ط: 2 ، المغرب ، 1985 ، ص: 51 .

*سورة النساء : الآية 14

فقد تمكن سليمان من إنشاء هذه الإمارة بتلمسان التي إعتبرت قاعدة المغرب الأوسط[1] و نقل إبن خلدون عن إبن حزم الأندلسي " أن بني محمد بن سليمان كثيرون بالمغرب الأوسط " ، فكانت المتيجة خاضعة لمحمد بن سليمان كما ذكر التنسي " أن محمد بن سليمان ترك من الأبناء عيسى وإدريس وإبراهيم ." ، فقد تولى عيسى سوق إبراهيم و أرشقون والتي تولاها بعده أخوه إدريس والذي ظهرت عليه دولة العبيديين وذكر البكري أن أصحاب تنس كانوا من أبناء " إبراهيم بن محمد بن سليمان ."[2] ، إمتدت نفوذ دولة الأدارسة إلى واد شلف كحد فاصل بين دولتهم و دولة الأغالبة[3] كما مجاورة للدولة الرستمية ، وكانت دولة الأدارسة على المذهب الزيدي الممزوج بإعتزال ، حيث ينسب الزيدية إلى الإمام زيد بن علي زيد العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وتميز المذهب الزيدي بإبتعاد عن الغلو فهم أقرب ما يكونون إلى أهل السنة ذلك لإعتمادهم مبدأ الشورى وجواز تقديم المفضول ، أما في قضية الإمامة فهم لا يجعلونها بالنص حيث يقول إبن خلدون "ساق الزيدية الإمامة على مذهبهم بإختيار أهل الحل والعقد لا بالنص ."[4] وحجتهم في ذلك أن الإمامة لا تستحق الإرث ولا جزاء عن الأعمال بل تستند على الدعوة ، كما إشترط الزيدية ضرورة أن يكون الإمام عادلا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فإمام عندهم غير معصوم ولذلك أجازوا قيام إمامين في وقت واحد إذا كانا في موضعين متباعدين[5] .

---

[1] : بوزياني " الدراجي " ، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2007 ، ص : 453 .

[2] : محمد مبارك " الميلي " ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج: 2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، بيروت ، ص...ص: 105...110 .

[3] : إسماعيل " محمود " ، الأدارسة 176 . 375 هـ - حقائق جديدة - ، مكتبة مدبولي ،ط: 1 ، القاهرة ، 1991 .

[4] : إبن خلدون " عبد الرحمن " ، المقدمة ، تح : خليل شحادة . سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2000 ، ص ، ص : 247 ، 248 .

[5] : إسماعيل " محمود " ، المرجع السابق ، ص : 23 .

أما دولة الأغالبة فقد قامت في إفريقية سنة (184هـ / 800)[1]. و تنسب إلى إبراهيم بن الأغلب[2] و إمتدت من طرابلس إلى الجزء الشرقي للمغرب الأوسط[3] و كانت دولة الأغالبة على المذهب الحنفي وذلك لإرتباطها إسميًا ومذهبيًا بالخلافة العباسية ، ينسب المذهب الحنفي إلى الإمام " أبي حنيفة " الذي ولد بالكوفة سنة (80 هـ / 700م) وتوفي بها سنة (150 هـ / 768م) وهو النعمان بن ثابت ويلقب بإمام الأعظم ، فقد إعتمد في منهجه على القرآن والسنة أولا ثم أقوال الصحابة والقياس والإستحسان أي إعمال الرأي إذا لم يجد نصا في القرآن والسنة ، كما إعتمد على الفقه التقديري أو الإفتراضي أي إستنباط الحكم للأحداث أو الوقائع يحتمل وقوعها في المستقبل ، إنتشر المذهب الحنفي في مناطق واسعة من العالم الإسلامي ومنها بلاد المغرب في عهد الأغالبة ، كما تواجد الأحناف في تيهرت بالمغرب الأوسط منذ عهد عبد الرحمن بن رستم حتى أنهم بنوا مسجدا خاصا بهم سموه" مسجد الكوفيين "[4]. أما المذهب المالكي فقد توسع نفوذه في عهد الفقيه "سحنون التنوخي"*

---

[1]: الرقيق " أبو إسحاق إبراهيم " ، تاريخ إفريقية والمغرب ، تح : محمد زينهم . محمد عزب ، دار الفرجاني لنشر والتوزيع ، ط: 1 ، القاهرة ، 1994 ، ص : 05 .

[2]: محمد " الطالبي " ، الدولة الأغلبية - التاريخ السياسي (184 – 296 هـ / 800 – 909م) ، تر: المنجي العيادي ، دار الغرب الإسلامي ،ط: 2 ، بيروت ، 1995 ، ص : 5 .

[3]: محمد " عليلي " ، الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستميين- خلال القرنين (2 – 3 هـ / 8 – 9م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة أبي بكر بالقايد ، تلمسان ، 2007 / 2008 ، ص : 33 .

[4]: نفسه ، ص ، ص : 59 ، 60 .

*سحنون التنوخي : أصله شامي من حمص " صليبية من العرب " وسحنون لقب له ، إسمه : عبد السلام ، وسمي "سحنون " بإسم الطائر الحديد لحدته في المسائل ، وقد جمع الناس أخبار سحنون مفردة ومضافة ، ينظر: إبن فرحون " إبراهيم " ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، تح : مأمون بن محي الدين جنان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1996 ، ص : 263 .

وهو العامل الذي إرتبط بتراجع نفوذ المذهب الحنفي في الأواسط المغربية مما جعل الأمراء الأغالبة يخضعون للأمر الواقع ، فكانوا يجبرون على تعيين قضاة القيروان من الفقهاء المالكيين وهو ما جعل العلاقة بين الأحناف والمالكية في القيروان تشهد تنافسا حادا . و المذهب المالكي نسبة إلى مالك **بن أنس*الذي ولد سنة** 93 هـ / 712**م و توفي سنة** 179 هـ / 795 م و يعرف بإمام دار الهجرة إعتمد في أحكامه على الحديث و قليلاً من الرأي و كان حينما لا يجد دليلاً من القرآن والسنة يلجأ إلى تغليب المصلحة العامة و هكذا ما يكون في الأحكام التي تتعلق بالمعاملات بين الناس و قد سماها المصالح المرسلة[1] **و** ذكر إبن الصغير المالكي تواجد المذهب المالكي في تيهرت بذكره لوجود " **مسجد** القرويين و رحبتهم ."[2] . كما وجد في المغرب الأوسط مذهب " **المعتزلة** " و الذي ينسب **إلى " واصل بن عطاء الغَزال** " وهو مؤسس هذا المذهب[3] و المعتزلة هي أكبر و أشهر مدرسة في الفكر الإسلامي و ما يمكن قوله أن إسم المعتزلة أطلقه فقهاء أهل السنة و الجماعة على من إشتغل بمسائل كالصفات ، وقد دخل مذهب الإعتزال إلى المغرب الأوسط **في أوائل القرن** 2 هـ / 8 م إذ تشير المصادر أن جماعة من زناتة كانت من الواصلية ذلك **أن واصل بن عطاء بعث " عبد بن الحارث المعتزلي " إلى بلاد** المغرب و في هذا سياق يذكر ياقوت الحموي أن مجمعًا للواصلية كان يقيم قريبًا من تاهرت و كان عددهم ثلاثين ألفًا[4] **ومن أقوال المعتزلة في الوعد** و الوعيد أي إن الله وعد المطيعين بالثواب و

***مالك بن أنس** : هو مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث ، **ينظر:** الجوهري " **أبي القاسم عبد الرحمان** " ، **مسند الموطأ** ، **تح** : لطفي بن محمد الصغير . طه بن علي بُوسريح ، **دار الغرب الإسلامي** ،ط: 1 ، بيروت ، 1997 ، ص: 118 .

[1] : **محمد** " عليلي " ، **المرجع السابق** ، ص ، ص: 60 ، 61 .

[2] : **المالكي** " إبن الصغير" ، **أخبار الأئمة** الرستميين ، **تح: محمد ناصر**. إبراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986 ، ص: 32 .

[3] : **البغدادي " أبي المنصور** " ، الفَرق بين الفِرق ، تح : محمد عثمان الخشن ، مكتبة إبن سينا لنشر و التوزيع ، القاهرة ، ص : 107 .

[4] : **محمد** " عليلي " ، **المرجع السابق** ، ص...ص: 67...70 .

توعد العصاة بالعقاب و هو لا يخلف وعده فمرتكب الكبيرة إذا مات دون توبة يخلد في النار و القول بالمنزلة بين المنزلتين فالفاسق من المسلمين أي صاحب الكبائر ليس فيه خصال الخير و لا هو بكافر لأنه يقر بالتوحيد و الخير الموجود في ذاته و قولهم في التوحيد يعني عندهم أن الله واحد لا شريك له ، قديم و أن القدم هي الصفة الأخص لذات الله و نفوا الصفات القديمة المستقلة عن ذات الله[1] ، ومن ذلك قول المعتزلة في تفسير قوله تعالى : {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾} *أي منتظرة الثواب و قد دفعهم هذا التفسير إلى القول بعدم رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة[2] ، وكان للمعتزلة الأثر الكبير على المذهب الإباضي حيث تحولوا في أصولهم العقائدية إلى عقائد المعتزلة وذلك لقولهم في " تأويل صفات الله " وقد وافقوا المعتزلة من جهة التأويل وقولهم بخلق القرآن وهو ما ذهب إليه المعتزلة[3] ، وقولهم بإنكار الرؤية الثابتة[4] وتكفيرهم لمرتكبي الكبائر لخلودهم في النار لإنكارهم الشفاعة الثابتة عن النبي لأهل الكبائر من أمته وطعنهم في بعض الصحابة كعثمان وعلي " رضي الله عنهما " ، وجوازهم الخروج عن الأئمة وجماعة

---

[1] : محمد " عليلي " ، المرجع السابق ، ص: 70 .

[2] : العكبري " أبو عبد " ، الإبانة عن شريعة الفرق الناجية و مجانبة الفرق المذمومة ، تح : رضا بن نعمان ، ج: 1 ، دار الراية لنشر و التوزيع ، ط: 1 ، الرياض ، 1988 ، ص ، ص: 12 ، 13 .

* : سورة القيامة ، الآية 22 ، 22 .

[3] : الأشعري " أبي الحسن علي " ، مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، ج: 1 ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1990 ، ، ص...ص : 268...273 .

[4] : نفسه ، ص : 238 .

المسلمين[1] وقولهم بمسالك الدين : من الظهور والدفاع والبراءة والشراة والكتمان" التقية" وكل هذا يندرج في كلام المعتزلة [2] .

أما التأثير الإعتزالي على المذهب الزيدي فهو أعمق وأوثق حتى إعتبر بعض العلماء **الفرق** أن المعتزلة فرقة زيدية ومعلوم أن " **واصل بن عطاء** " أفاد من علم الأئمة العلويين ودرس على بعضهم ، كما تتلمذ على يديه " زيد بن علي " مؤسس المذهب الزيدي ، فقد تأثر الزيدية بالمعتزلة في نظرية الإمامة ، فضلا عن الأخذ بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعموما يعتبر علم الكلام الزيدي فيه محاكاة لآراء المعتزلة ، ولعل هذا من أسباب إعتبار بعض رجالات الزيدية أنفسهم من المعتزلة حيث كان المعتزلة في بغداد يقولون " نحن زيدية "[3] أما التوافق السياسي بين الأدارسة والواصلية " **المعتزلة** " **فقد** تجلى بالمغرب الأوسط من خلال العداء للدولة الرستمية في عهد الإمام " عبد الوهاب " حيث كانت هناك مراسلات بين واصلية المغرب الأوسط والمغرب الأقصى تحت رعاية دولة الأدارسة الذين سعوا إلى ضم بعض الثغور الرستمية[4] .

---

[1] : ناصر عبد الكريم " **العقل** " ، **الخوارج** - أول الفرق في تاريخ الإسلام - ، دار إشبيليا لنشر والتوزيع ، ط:1 ، الرياض ، 1998 ، ص : 92 .

[2] : أطفيش " أحمد بن يوسف " ، شرح عقيدة التوحيد ، تح : مصطفى بن ناصر وينتن ، المطبعة العربية .ط: 1 ، غرداية ، 2001 ، ص : 195 .

[3] : إسماعيل " محمود " ، المرجع السابق ، ص ، ص : 24 ، 25 .

[4] : محمد " عيسى " ، المرجع السابق ، ص : 205 .

الفصل الأول : المذهب الإسماعيلي بالمغرب الأوسط .

- **أولاً** : خصائص المذهب الإسماعيلي و عوامل إنتشاره في المغرب الأوسط ، ص...ص : 13...20 .

- **ثانياً** : الدور الكتامي الصنهاجي في توطيد أركان الدولة الفاطمية في المغرب الأوسط :ص...ص: 14...18.

- **ثالثاً** : السياسة المذهبية الفاطمية في المغرب الأوسط " أثرها و إنعكاساتها " : ص...ص: 19..28.

شكلت بلاد المغرب الأوسط أرضًا مهيأة لنصرة المذاهب الإسلامية التي ظهرت في بلاد المشرق الإسلامي و التي أصبحت مناوئة لنظام الخلافة الأموية و العباسية ذلك أن بربر ضاقوا ذرعًا من تجاوزات بعض ولاة الخلافة وهو ما تجلى في قيام **الدولة الفاطمية بالمغرب الأوسط بفضل بربر كتامة فكانت** هذه الدولة ذات طابع مذهبي شيعي إسماعيلي .

أولاً . خصائص المذهب الإسماعيلي و عوامل إنتشاره في المغرب الأوسط :

إنقسمت الإمامة عند الشيعة* **بعد موت جعفر الصادق سنة** 148 هـ إلى فريقين ، فريق نادى بأحقية " إسماعيل"[1] و يعرف هؤلاء بإسماعيلية لأن إسماعيل في نظرهم هو الأحق بإمامة بعد أبيه و فريق آخر نادى بأحقية موسى الكاظم الإبن الأصغر لجعفر الصادق و لأبنائه من **بعده**[2] حتى الإمام الحسن العسكري الذي إشتهر بغيبيته في السرداب بسمراء سنة 266 هـ و تعرف هذه الفرقة بالشيعة الإثنا عشرية[3] و يرتبط بإمامة إسماعيل نظريات إبتدعها الإسماعيلية حيث يرى أنصار إسماعيل أنه كان أكبر أبناء أبيه " **جعفر الصادق** " **و قالوا** أنه كان يحبه كثيرًا من بين باقي إخوته و أنه نص على إمامته بعده و يؤكدون **ذلك لقول**

---

* **الشيعة :** هم الذين شايعوا عليًا رضي الله عنه على خصوص و قالوا بإمامته و خلافته نصًا و وصية إما جليًا أو خفيًا ، **ينظر:** الشهرستاني " **أبي فتح محمد** " ، **الملل و النحل** ، تح : أمير علي مهنا . **علي حسن فاعور ،ط:** 3 ، **دار المعرفة** ، بيروت ، 1933 ، ص: 169 . **إبن حزم " أبي محمد** " ، الملل و الأهواء و النحل ، تح : محمد إبراهيم نصر . **عبد** الرحمن عميرة ، ج: 4 ، دار الجيل ، بيروت ، ص: 156 .

[1] : **النوبختي " الحسن بن موسى** " ، فرق الشيعة ، تح: عبد المنعم الحفني ، دار الرشد و التوزيع ، ط: 1 ، القاهرة ، 1992 ، ص: 77 .

[2] : حسن إبراهيم " **حسن** " . **أحمد "شرف** " ، عبيد الله المهدي - إمام الشيعة الإسماعيلية و مؤسس الدولة الفاطمية في **بلاد المغرب** - ، مكتبة النهضة المصرية للقاهرة ، 1947 ، ص ، ص: 29 ، 30 .

[3] : **مصطفى " غالب** " ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ، ط: 1 ، بيروت ، ص: 14 .

" جعفر الصادق " : " لو جاءكم أحد بدماغ إبني هذا إسماعيل فلا تشكوا أنه الإمام من بعدي" و لا يقر الإسماعيلية بموت إسماعيل في حياة أبيه كما يدعي الإثنا عشرية ، و الواقع أن إسماعيل مات في حياة أبيه " جعفر الصادق " إلا أن الإسماعيلية إتخذوا نظرية الإستقرار و الإستداع وسيلة للتدليل على إمامة إسماعيل دون إبن عمه موسى الكاظم فيقولون أن موسى الكاظم كان إمامًا مستودعًا لإسماعيل و أبنائه ، كما يقولون أن إسماعيل أوصى بتعيين وصي لإبنه " محمد بن إسماعيل " فعين جعفر الصادق إبنه موسى الكاظم وصيًا على حفيده محمد بن إسماعيل ليكون سترًا عليه[1] ، ثم إبنه الإمام " المستور" الذي ضبط مذهب الحركة و نظم الدعوة بفضل مساعدة " ميمون القداح " و بخصوص إبنه " عبد الله بن ميمون " و إعتبارًا من عهد " محمد بن إسماعيل " الإمام الأول المكتوم " أو " المستور"ستبدأ في مطلع النصف الثاني من القرن 2 هـ / 8م حلقة من حلقات " الستر " التي ستنتهي في أواخر القرن 3 هـ / 9 م بظهور المهدي* الذي ينتمي إلى أسرة القداح[2] ، لقد دخل المذهب الشيعي الإسماعيلي إلى المغرب الأوسط قبل وصول الداعي " أبو عبد الشيعي " ، فقد تسلل المذهب الإسماعيلي إلى المغرب الأوسط في أواسط القرن 2 هـ / 8م

---

(1) : حسن إبراهيم " حسن " . أحمد "شرف" ، المرجع السابق ، ص: 31 .

* المهدي : إسمه سعيد ، ولقبه " عبيد الله المهدي " ، فهو سعيد بن حسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح ، ينظر : إبن خلكان " أبي عباس شمس الدين " ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تح: إحسان عباس ، ج: 3 ، دار صادر ، بيروت ، ص: 357 . إبن الأبار " أبي عبد " ، الحلة السيراء ، تح: حسين مؤنس ، ج: 1 ، دار المعارف ،ط: 2 ، القاهرة ، ص: 196 .

(2) : فرحات " الدشراوي " ، الخلافة الفاطمية بالمغرب (296 . 365 هـ / 909 . 975م) - التاريخ السياسي و المؤسسات، تر: حمادي ساحلي ، دار الغرب الإسلامي ،ط: 1 ، بيروت ، 1994 ، ص...ص: 65...67 .

و المتمثل في بعثة الداعيين " أبي سفيان و الحلواني "[1] و يقال أن جعفر الصادق هو الذي أوفدهما " و أمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة ، و أمرهما أن يتجاوزا إفريقية إلى حدود البربر " ، فقد نزل أبو سفيان في ناحية مرجمانة و يقال لها تلاً ، **فكان له الدور الكبير في تَشَيُّع** أهل مرجمانة و أريس* **و كان سببًا كذلك في تَشَيُّع** أهل نفطة ، وأما **الحلواني** فإنه نزل إلى بلاد كتامة و تشيع الكثير من أهلها على يده و كذلك نفزة و سماتة وكان يقول لهم : " **بعثت أنا** و أبو سفيان ، فقيل لنا : إذهبا إلى المغرب فإنكما تأتيان أرضًا بورًا ، فإحرثاها و ذللاها إلى أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذللة فيبذر حبه فيها ."[2] **وقد كانت بلاد** المغرب الأوسط أرضًا مهيأة لنصرة المذهب الشيعي الإسماعيلي ذلك أن التشيع منذ نشأته **إتخذ صبغة مضادة** للعرب جراء السياسة الأموية فقد قامت هذه الدعوة **على سواعد الأعاجم من الفرس و كذلك البربر**[3] ، حيث قام إبن حوشب بإرسال أبو عبد الله الشيعي إلى بلاد المغرب الأوسط لما سمع بوفاة الداعيين بناءًا على موافقة مسبقة من طرف المهدي في سلمية** و هي التي خرج منها **الداعي أبو عبد** إلى بلاد اليمن ثم إلى المغرب الأوسط[4] ، ثم قام إبن حوشب بتزويده بالمال و أرسله إلى المغرب الأوسط و قال له " **إن أرض**

---

[1] : أيمن فؤاد " السيد " ، الدولة الفاطمية - تفسير جديد - ، الدار المصرية اللبنانية للطباعة و النشر و التوزيع ، ط: 1 ، القاهرة ، 1992 ، ص: 45 .

* **أريس :** هي بلد كثير العيون و الثمار و النخيل ، **ينظر : البكري** " أبو عبيد " ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب - **المسالك و الممالك** - ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ص: 15 .

[2] : فرحات " **الشراوي** " ، **المرجع السابق ، ص:** 79 .

[3] : أيمن فؤاد " السيد " ، **المرجع السابق ، ص:** 112 .

** **السلمية :** هي بلدة من بادية البرية لحماة و كانت تعد من أعمال حمص و قد بناها عبد الله بن صالح بن علي بن عبد ، **ينظر:** ياقوت الحموي " شهاب الدين "، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977 ، ص: 240 . **أبي الفداء** " عماد الدين إسماعيل " ، تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ص: 265 .

[4] : **موسى " لقبال** " ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية - منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري (11م) - ، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص: 224 .

كتامة من البربر قد حرثها الحلواني و أبو سفيان و قد ماتا و ليس لها غيرك ، فإذهب إليها ، فإنها موطأة ممهدة لك ." ، **فخرج أبو** عبد الله الشيعي إلى مكة مع الحجاج اليمنيين **ثم** إتصل بالكتاميين و حدثهم " بفضائل علي و آل البيت " فأحبوه و أعجبوا به و أثناء عودتهم صحبهم إلى مصر و أخذ يستفسر منهم عن بلادهم و مدى طاعتهم لحكامهم ، فأجابوه بما سره و طمأنه ، و لما أراد مفارقتهم في مصر رفضوا ذلك و أصروا على إصطحابه إلى أن أجابهم إلى الخروج معهم دون أن يطلعهم على حقيقة أمره و مقصده ، و عندما وصل الركب إلى أرض كتامة في ربيع الأول من سنة 288 هـ تنازع الكتاميون عليه ففاجأهم بسؤاله : أي موضع عندكم يسمى فج الأخيار؟ فأجابوه بأنه عند بني سكتان ، فقال : إياه نقصد ، و هو موطن المتشيعين من كتامة ، ثم سار أبو عبد الله الشيعي إلى جبل " إيكجان " حيث يقع " فج الأخيار " ، ثم قال لهم : " هذا فج الأخيار ، وما سمي إلا بكم ، و لقد جاء في الآثار أن للمهدي هجرة تنبوا من الأوطان ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان ، قوم إسمهم مشتق من الكتمان فإنهم (**كتامة**) ." **ثم قل** : " و بخروجكم من هذا فج سمي (فج الأخيار). "[1] ثم صرح لهم بقوله : " **أنا صاحب البذر الذي ذكر لكم الحلواني و أبو** سفيان. "[2] فمثلت بلاد كتامة من المغرب الأوسط الإطار الأمثل لمهمة هذا الداعي بفضل جبالها المنيعة و هضابها العالية الخصيبة كما مثلت قلعة إيكجان ملجأً منيعًا[3] .

أما خصائص المذهب الشيعي الإسماعيلي فقد أجمع غالبية الفقهاء و المؤرخين على ميزت الغلو و إبتعاد عن تعاليم الدين الإسلامي الذي ميزت هذا المذهب ، حيث يذكر برنارد لويس " أن أصحاب المذهب الإسماعيلي إعتمدوا على كتب اليهود والنصارى المقدسة و فسروها

---

[1] : **عبد □ محمد** " جمال الدين " ، الدولة الفاطمية - قيامها ببلاد المغرب و إنتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع هجري مع عناية خاصة بالجيش - ، دار الثقافة لنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1991 ، ص...ص: 42...44.

[2] : **علي حسني " الخربوطلي "** ، أبو عبد الله الشيعي - مؤسس الدولة الفاطمية - ، المطبعة الفنية الحديثة ، 1972 ، ص: 39 .

[3] : **فرحات " المشراوي " ، المرجع السابق** ، ص ، ص: 86 ، 87 .

بأساليب إسماعيلية."[1] وقال إبن حزم " إن دعوى الشيعة ليست حجة على القرآن ، ولا على المسلمين لأنهم ليسوا منا ، و لسنا منهم ."[2] وقال البغدادي : " إعلموا أسعدكم أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود و النصارى و المجوس ، بل أعظم من الدهرية و سائر أصناف الكفرة عليهم بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر آخر الزمان ."[3] و يذكر الإمام الغزالي عن بذورهم العقائدية بقوله : " تم الإجماع لقوم من أولاد المجوس و المزدكية من الوثنية الملحدين ، و طائفة كبيرة من ملاحدة الفلاسفة المتقدمين ."[4] و عن ذكر بعض أعمالهم الإجرامية و التي قادها أبو الطاهر الجنابي الباطني حين وصل إلى مكة من خلال ما نقله الطبري في قوله : " فنهب أموالهم و إستباح قتالهم ، فقتل في رحاب مكة و شعابها و في المسجد الحرام و في جوف الكعبة من الحجاج خلقًا كثيرًا . "[5] و جلس أميرهم أبو الطاهر على باب الكعبة و الرجال تصرع حوله و السيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام وفي شهر الحرام و يوم التروية وهو يقول :

أنا و بالله أنا * أنا أخلق الخلق و أفنيهم أنا ؟! .

ثم ذكر الطبري " فلما قضي القرمطي لعنه الله أمر أن يدفن القتلى في بئر زمزم ، وهدم قبة زمزم و أمر بقلع باب الكعبة ، ونزع كسوتها عنها و شققها بين أصحابه ."[6] وكان خطر المذهب الإسماعيلي الباطني كبيرًا ذلك أنهم تحالفوا مع النصارى و التتار ضد الإسلام و

[1] : لويس " برنارد " ، أصول الإسماعيلية و الفاطمية و القرمطية ، دار الحداثة ، ط: 1 ، 1980 ، ص: 154 .

[2] : أبي عبيدة " حسن آل سليمان " ، ردود القرطبي على الشيعة ، دار الحداثة ، ط: 1 ، 1980 ، ص: 154 .

[3] : علي محمد " الصلابي " ، نشر الصفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية - الصراع بين أهل السنة و الرافضة - ، مكتبة الصحابة ،ط: 1 ، القاهرة ، 2007 ، ص: 36 .

[4] : الغزالي " أبو حامد " ، فضائح الباطنية ، تح: عبد الرحمن البدوي ، مؤسسة دار الكتاب الثقافية ، الكويت ، ص: 18.

[5] : الطبري " أبي جرير محمد " ، تاريخ الطبري - تاريخ الأمم و الملوك - ، تح: أبو الفضل إبراهيم ، ج: 11 ، دار السويدان ، بيروت ، ص: 119 .

[6] : علي محمد " الصلابي " ، المرجع السابق ، ص: 37 .

المسلمين[1] ، و من عقائدهم ما قاله شيخ الإسلام إبن تيمية " ... أن من إقترن دعوى أن عليًا إلّه و أنه نبي و أن جبريل غلط ، فلا شك في كفره هذا من توقف في تكفيره ، وكذلك من زعم أن القرآن نقص منه شيء أو أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة و نحو ذلك و هذا قول القرامطة و الباطنية (الإسماعيلية) ."[2] ، فالعقيدة الإسماعيلية تتميز على عقائد فرق الشيعة الأخرى بتأكيدها على أن الإمامة تكون بالنص أي بوجوب تعيين الإمام لخلفه و لابد أن تكون من أب إلى إبنه الأكبر و أن الأئمة يتوارثون طبيعة روحية فالرسول صلى الله عليه و سلم نقل إلى علي بن أبي طالب بعض علومه الإلهية مباشرة ليتوارثها الأئمة من نسله بعده و لإعتمادهم على التأويل*لقولهم : إذ لكل تنزيل تأويل مستدلين بحديث عن الرسول صلى الله عليه و سلم حيث قال : " أنا صاحب التنزيل و علي صاحب التأويل ." و أوردوا الأحاديث النبوية أو ما أطلقوا عليه " الأخبار" إلى أئمتهم الذين وصفوهم بصفة العصمة عن الكبائر و الصغائر معتبرين أن روح الله حلت بهم !؟ و أسندوا لهم المعجزات[3] و قولهم على العمل " بالتقية "[4] و يقول القاضي النعمان أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي مؤرخ الفاطميين و قاضيهم الذين كان له كبير في وضع أسس المذهب الإسماعيلي و ذلك في طعنه بالصحابة رضي الله عنهم أجمعين واصفًا إياهم

---

(1) : علي محمد " الصلابي " ، الدولة الفاطمية ، مؤسسة إقرأ لنشر و التوزيع و الترجمة ، ط: 1 ، القاهرة ، 2006 ، ص: 37 .

(2) : إبن تيمية " أبي العباس تقي الدين " ، مختصر الصارم المسلول على شاتم الرسول ^ ، تح : علي بن محمد العمران ، دار علم الفوائد لنشر و التوزيع ، مكة المكرمة ، 1422 هـ ، ص ، ص: 127 ، 128 .

* **التأويل :** إجراء الكلام و صرفه عن معناه الظاهري إلى معنى أخفى منه ، **ينظر:** المعز لدين الله الفاطمي " أبو تميم معد " ، أدعية الأيام السبعة ، تح: إسماعيل قربان . حسين يوناولا ، دار الغرب الإسلامي ، ط: 1 ، بيروت ، 2006 ، ص: 138.

(3) : الشهرستاني " أبي الفتح محمد " ، المصدر السابق ، ص: 228 .

(4) : القاضي نعمان " أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي " ، دعائم الإسلام ، تح: آصف بن علي أصغر فيضي ، ج : 1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1963 ، ص: 60 .

بالجهل في قوله: " ...و إقرارهم بالجهل على أنفسهم و شهادتهم به عليهم و كثير ما نذكره من ذلك ، كقول أبي بكر: وليتكم و لست بخيركم !؟ ." و قوله :" لولا علي لهلك عمر!؟."

و يذكر الذهبي المعتقدات الفاسدة للفاطميين الإسماعيليين فقد كان أبو عبد الله الشيعي يقول " إن لضواهر الآيات و الأحاديث بواطن هي كالب و الظواهر كالقشر ، و قال : لكل آية ظهر و بطن ."[1] و كان بني عبيد يدعون الألوهيه و الربوبية و قد قيل أنه في سنة 299 هـ أن عبيد الله المهدي سمح لأصحابه أن يغرقوا في كفرهم حتى ألّهُوهُ ، فقد كانت أيمانهم المغلظة " و حق عالم الغيب و الشهادة ، مولانا الذي برقادة* !؟ ." و قال حسن إبراهيم حسن : " ذهب السنيون إلى أن عبيد الله المهدي كان يعمل على هدم الإسلام مستترًا بالتشيع ."[2] حيث كان دعاة بني عبيد يقولون عن المهدي هو الخالق الرزاق !؟ فقال الشاعر أبو القاسم الغماري ت 345 هـ عن بني عبيد يهجوهم :

عبدوا ملوكهم و ظنوا أنهم * نالوا بهم سبب النجاة عمومًا .

و قال الذهبي " وفي سنة ستين و ثلاث مائة وجد بالسوق قماش قد نسج فيه المعز عَزَ و جَلْ ، فأحضر النساج إلى جوهر ، فأنكر ذلك ، و صلب النساج ثم أطلق . " و كان بعض دعاة بني عبيد يقولون عن المهدي : هو رسول الله !؟ و كان عبيد الله المهدي يسخر من النبي صلى الله عليه وسلم ومن موسى عليه السلام و ذلك في رسالة إلى داعيته أبي طاهر القرمطي ، فيقول " و لا تكن كصاحب الأمة المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال الروح من أمر ربي ، و لا تكن كموسى في دعواه التي لم يكن له عليها برهان سوى المخرقة

---

[1]:سعد بن موسى " الموسى" ، موقف الإمام الذهبي من الدولة العبيدية نسبًا و معتقدًا ، دار القاسم لنشر و التوزيع ،ط: 1 ، الرياض ، 2006 ، ص...ص: 27...38 .

* رقادة : تقع على أربعة أميال من القيروان إفريقية و كانت مدينة كبيرة ، دورها أربعة و عشرين ألف ذراع و أربعون ذراعاً ، وكانت أكثر بلاد إفريقية بساتين و فواكه ، ينظر : الحميري " محمد بن منعم " ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1984 ، ص: 271 .

[2]:سعد بن موسى " الموسى " ، المرجع السابق ، ص: 49 .

بحسن الحيلة و الشعبذة !؟ و كان المهدي قد لعن الأنبياء عن شعائرهم[1] و كان يكاتب و يحرض القرامطة في البحرين الذين قتلوا و إستباحوا حرم الله و قلعوا الحجر الأسود فقد ذكر القاضي عبد عبد الجبار المتكلم : أن القائم إبن المهدي سب الأنبياء و كان مناديه يصيح : ألعنوا الغار و ما حوى ، وذكر الهمذاني أن القائم جاهر بشتم الأنبياء و كان يلعنهم جميعًا !؟ كما ذكر بعض أهل التاريخ : أن المعز أراد إدعاء النبوة و لكنه بعد ذلك خاف من الرعية حيث أذن مؤذنه فوق صومعة جامع القيروان ب: أشهد أن معدًا رسول ، فارتج البلد لذلك ، وقال الذهبي*" و أما العبيديون الباطنية فأعداء الله و رسوله ." و ذكر القاضي النعمان ما كان يحظى به الخليفة العبيدي من مظاهر التقديس إلى درجة السجود و تقبيل الأرض للخليفة الفاطمي كواجب لتعظيم أولياء الله !؟ حيث يقول " مع هذا إنهم يقبلون أيدي الأئمة صلوات الله عليهم ما ذكرناه من تقبيل الأرض بين يدي أولياء الله أفما سمعوا قول عز وجل يحكي في كتابه عن يعقوب و ولده ، وهم أنبياء ، سجدوا ليوسف عليه السلام"[2].

ثانيًا ـ الدور الكتامي الصنهاجي في توطيد أركان الدولة الفاطمية في المغرب الأوسط :

---

[1]: سعد بن موسى " الموسى" ، المرجع السابق ، ص...ص: 27...38 .

* **الإمام الذهبي :** هو شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، ولد في شهر ربيع الآخر سنة 673 هـ ، و توفي سنة 748 هـ ، ينظر :سعد بن موسى " الموسى " ، ص: 8 .

[2]: القاضي نعمان " أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي " ، المجالس و المسايرات ، تح : الحبيب الفقي . إبراهيم شبوح محمد اليعلاوي ، دار المنتظر ، ط: 1 ، بيروت ، 1996 ، ص: 59 .

في قلعة إيكجان نشط الداعي أبو عبد الله الشيعي*الحركة الدعوية أو توجيه المعنوي ببسط علوم آل البيت حيث يقول المقريزي " و أتاه البربر من كل مكان ، فعظم أمره إلى أن تقاتلت عليه كتامة مع قبائل البربر ."[1] فقد إجتمعت إليه قبائل كتامة و لقبوه عبد المشرقي[2] ، ظم أبو عبد الله هذا المجتمع الشيعي و ذلك بمساندة المجموعة الأولى الكتامية التي إلتفت حوله كحريث الجميلي و موسى بن مكارم و المريدين كأبي عبد الله الأندلسي و أبي القاسم الورفجوسي ، فتكونت الزمرة الأولى من الأولياء الذين يساعدونه على الإطلاع بمهمته و سيكونون أخلص المساندين له وهم هارون بن يونس الذي سيتبوأ مكانة كبيرة حيث تلقب " بشيخ المشايخ " لإحتلاله مكانة مرموقة بين أبناء عشيرته من مسالة وهي بطن من بطون كتامة و الحسن بن هارون وهو من بني غشمان و كان ذلك حول هضبة تازورت و كذلك أبو زاكي تمام بن معارك و هو من أبناء أكبر بطون كتامة و كان يخدم أبو عبد الله الشيعي حيث رأى فيه نباهة و نشاطًا[3] و إهتم أبو عبد الله الشيعي بتنظيم مجتمعه في دار الهجرة فقسم كتامة أسباعًا و جعل لكل سبع منها عسكرًا و قدم عليه مقدمًا و خصص لكل موضع داعيًا و سمي المقدمين و الدعاة " بالمشايخ " رغم أنهم لو يكونوا متقدمين في السن كما تولى هؤلاء المشايخ تدبير أمور المجتمع و توزيع ما

---

* أبو عبد الله الشيعي : هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا ، من أهل صنعاء و قد سار إلى إبن حوشب النجار و صحبه بعدن و صار من كبار أصحابه ، وكان له علم و فهم و دهاء و مكر ، ينظر : إبن الأثير " محمد بن محمد " ، الكامل في التاريخ ، تح: محمد يوسف الدقاق ، ج: 6 ، دار الكتب العلمية ، ط: 1 ، بيروت ، 1987 ، ص: 450 .

[1] : المقريزي " تقي الدين أحمد " ، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تح: جمال الدين الشيال ، ج: 1 ، مطابع الأهرام التجارية ، ط:2 ، القاهرة ، 1996 ، ص: 57 .

[2] : إبن خلدون " عبد الرحمن " ، ديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة . سهيل زكار ، ج: 4 ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، 2000 ، ص: 42 .

[3] : القاضي نعمان " أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي " ، إفتتاح الدعوة ، تح: فرحات الدشراوي ، الشركة التونسية لتوزيع ، تونس ، ص ، ص: 49 ، 50 .

يحوزونه من غنائم عليه[1] أصبحت تازورت دار الهجرة الإسماعيلية بعد إنتقال أبو عبد الله الشيعي إليها كما قويت عصبية الداعي و إشتد ساعده بقبائل غشمان و ولهيصة و جميلة و ملوزة و مزاتة و مجموع مستالة و أجانة و لطانة و إتسعت حركة الدعوة حيث شملت عجيسة و زواوة[2] و بدأ أبو عبد الله الشيعي بتوجيه سلسلة من الأعمال العسكرية ضد الدولة الأغلبية ، فزحف إلى ميلة*و أحاط بها أصحابه من كل ناحية حيث خرج إليهم موسى بن العباس ممن معه في كتامة فقتل فحل بن نوح عاملها و إقتحم ميلة فكانت أول مدينة أغلبية محصنة تسقط في يديه[3] ثم هاجم أبو عبد الله الشيعي سطيف**سنة 293 هـ / 903 م فدخلها بعد أن إستأمن أهلها و لما بلغ خبر سقوط سطيف إلى الأمير الأغلبي " زيادة الله " خرج بجيشه من الأربس بقيادة " إبراهيم بن الحبشي " إلا أن الداعي هزمه شر هزيمة و عاد زيادة الله إلى إفريقية و غنم الكتاميون غنائم لا يحصى عددها و قد كتب أبو عبد الله الشيعي إلى عبيد الله المهدي يخبره بما غنمه من هذه المعركة ثم أخذ الداعي في

---

[1] : علي حسني " الخربوطلي " ، المرجع السابق ، ص: 43 .

[2] : إدريس " عماد الدين " ، عيون الأخبار- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب - ، تح: محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ،ط: 1 ، بيروت ، 1985 ، ص: 89 .

* **ميلة :** مدينة ميلة هي على أربع مراحل من قلعة بني حماد و هي حسنة كثيرة الأشجار ممكنة الثمار و فواكهها كثيرة و مياهها غدقة و أهلها من أخلاط البربر، **ينظر :** الإدريسي " أبي عبيد محمد " نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ، ج: 1 ، مكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة ، 2002 ، ص: 265 .

[3] :فرحات " المشرواي " ، المرجع السابق ، ص ، ص: 117 ، 118 .

** **سطيف :** مدينة سطيف كثيرة الخير تقارب ميلة و مسيلة و تصاقب قسنطينة ، **ينظر :** إبن حوقل " أبي القاسم " ، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1996 ، ص: 93 .

التوغل جنوبًا إتجاه منطقة الزاب*المجاورة فقد رأى أن الوقت أصبح مناسبًا في الشروع في غزو إفريقية[1] ثم إستولى أبو عبد الله الشيعي على طبنة**وعين عليها عاملاً شيعيًا وهو " يحيى بن سليمان " ثم سيطر على بلزمة و إنتصر على الجيش الأغلبي في موقعة " دار ملول " ثم سيطر على مدينة تيجس و إنتشر الذعر في سائر المدن فحاول الأمير الأغلبي تهدئة نفوس رعاياه إلا أن الشيعي إستمر في زحفه و نزل القصرين فإشتبك الفريقان في معركة حامية الوطيس و التي إنتصر فيها أبو عبد الله الشيعي فتوطد نفوذه في رقادة و القيروان[2] .

- التحالف الكتامي الصنهاجي :

تزعمت تلكاتة قبائل صنهاجة و هذه القبيلة ينتمي إليها بني زيري و بني حماد و كان " مناد بن منقوش " عاملاً على إفريقية و المغرب الأوسط مقيمًا الدعوة لبني العباس و راجعًا إلى أمر الأغالبة السنيين ، فكان من مظاهر تنامي القوة الصنهاجية توسع سلطانها في أواخر عهد الأغالبة بتشييد مناد بن منقوش للقلعة المنادية التي شكلت حصنًا أمام الزناتيين الخوارج ، ثم خلفه إبنه " زيري بن مناد " و يبدو أن الصراع المستمر بين زناتة و صنهاجة أثر في نشأة زيري العسكرية حيث بدأ يشن الغارات على زناتة فيقتل و يسبي ، كما تمكن زيري بن مناد من هزم باقي البطون الصنهاجية الذين تحالفوا مع زناتة فدانت له سائر بطون صنهاجة ، إن الحركة التي قادها زيري بن مناد ضد زناتة كانت بإيعاز من الخلفاء الفاطميين الذين حرصوا على تقديم السند لحليفهم الجديد " صنهاجة " فقد أعان

---

* **الزاب :** الزاب الكبير منه بسكرة و قسنطينة و هي كورة عظيمة بأرض المغرب ، **ينظر :** ياقوت الحموي " شهاب الدين ، المصدر السابق ، ص: 124 .

(1) :فرحات " الشراوي " ، المرجع السابق ، ص...ص: 130...132 .

****طبنة :** مدينة قديمة كبيرة بساتين و القطن و الحنطة و الشعير و لها سور من طابية مرحلة و أهلها قبيلتان عرب و برقجانة ، **ينظر :** إبن حوقل " أبي قاسم " ، المصدر السابق ، ص: 85 .

(2) : علي حسن " الخربوطلي " ، المرجع السابق ، ص: 50 .

الخليفة الفاطمي " **القائم** " زيري **بعمال** و مهندسين **لما** بنى مدينة أشير فلم ينسى زيري بن **مناد فضل القائم** عليه حيث أنه شارك في قمع ثورة أبي يزيد الخارجي ، و في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله إنطوت كتامة و صنهاجة في **تحالف** **لغزو** المغرب الأقصى بقيادة جوهر الصقلي[1] **و بعد فتح فاس عاد** هذا الأخير و فتح مدينة تيهرت* و بعد هذا الإنتصار الباهر عظم أمر زيري بن مناد في المغرب الأوسط مما أوقد نار التحاسد و الغيرة في قلب " **جعفر بن حمدون الأندلسي** " ، و بعد وفاة زيري بن مناد خلفه إبنه " بلكين بن زيري " على رأس صنهاجة ، فزاد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في إقطاع بلكين المسيلة** و أمده الخليفة " **المعز**" بالأموال و الجيش و أذن له بأن يحتفظ بالنواحي التي يفتحها من أعمال المغرب الأوسط حيث هزم زناتة ، ثم أن المعز لدين الله الفاطمي

---

[1] : **رضا** " بن نية " ، صناهجة المغرب **الأوسط** - من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر (80 هـ - 362م/ 699 هـ - 973م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2005 / 2006 ، ص ، ص: 71 ، 72 .

* **تيهرت :** هو إسم مدينتين **متقابلتين** يقال إحداهما تيهرت القديمة و الأخرى تاهرت المحدثة و هي كثيرة الضباب و **الأمطار و كانت تسمى عراق المغرب** ، **ينظر :** ياقوت الحموي " شهاب الدين " ، **المصدر السابق** ، ج: 2 ، ص ، ص: 7 ، 8 .

** **المسيلة :** هي أقرب من قلعة بني حماد و هي من بلاد الزاب و أحدثها أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله المهدي و كان المتولي لبنائها علي بن حمدون المعروف بالأندلسي و هي كثيرة النخل و البساتين تشقها جداول المياه العذبة و حولها قبائل كثيرة من عجيسة و هوارة و بني برزوال ، **ينظر :** مؤلف مجهول ، الإستبصار في عجائب الأمصار ، نشر و تعليق : سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ص: 172 .

ولى بلكين على إفريقية و المغرب ماعدا صقلية و طرابلس و أجدابية و سرت ، **فأقام المعز** الفاطمي أربعة أشهر بسردانية ثم غادر صحبة بلكين إلى سفاقس فودع بلكين بنواحي هذه المدينة[1] و واصل المعز رحلته إلى مصر[2] و عند ذهابه أوصى بلكين **بثلاث " أن لا** يرفع السيف عن البربر و لا يرفع الجباية عن أهل بادية ولا يولي أحدًا من أهل بيته و عهد إليه أن يفتح أمره بغزو المغرب لحسم دائمه و قطع علائق الأموية منه **."فأصبح المغرب** الأوسط منذ ذلك العهد تحت حكم الصنهاجيين[3] .

---

[1] : رشيد " بوروبية " ، الدولة الحمادية - تاريخها و حضارتها - ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ص...ص: 10...15 .

[2] : **القلقشندي** " الشيخ أبي العباس أحمد " ، **صبح الأعشى** ، ج: 3 ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1914 ، ص: 430 .

[3] : **إبن خلدون " عبد الرحمن "** ، ديوان المبتدأ أو الخبر...، ج: 6 ، **المصدر السابق** ، ص: 206 .

ثالثًا . السياسة المذهبية الفاطمية في المغرب الأوسط " أثرها و إنعكاساتها " :

1- فرض المذهب " الإسماعيلي " على سكان المغرب الأوسط :

حاول العبيديين نشر مبادئ مذهبهم الشيعي الإسماعيلي حيث تغيرت الحالة تغيرًا خطيرًا من خلال فرضهم الفقه الإسماعيلي وذلك بإتخاذ شكل محدد و بدعم من الخلفاء العبيديين فكان أبو عبد الله الشيعي قد أدخل عبارة (حي على خير العمل) إلى الآذان و أمر بحذف عبارة (الصلاة خير من النوم) من آذان الصبح ، كما أضاف إلى شعائر صلاة الجمعة (الصلاة على علي وفاطمة) ، و يروى أن " محمد بن عمر بن يحيى المروزي " أول قاضٍ فاطمي كان قد أصدر أمرًا يمنع الفقهاء من إعطاء الأحكام و الفتاوى إلا طبقًا للمذهب الإسماعيلي و أعلن بطلان طلاق البتة و قال بحق ميراث البنت لكامل ميراث الأب[1] و لقد سعى الكتاميون لتسخير كل إمكانياتهم لنشر التشيع و التمكين له بين جماهير أهل السنة حيث أصبح بين هذه القبيلة دعاة متحمسين كما كان الكتاميين يفتنون الناس في عقائدهم و يرغمونهم على تغيير المألوف لديهم فأوجد ذلك تأجيج الصراع المذهبي بين الشيعة و جمهور أهل السنة و خاصة المالكية[2] و ذكر إبن حماد في مؤلفه " أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم " قوله: " وكان مما أحدث عبيد الله المهدي أن قطع صلاة التراويح في شهر رمضان ، و أمر بصيام يومين قبله ، و قنت في صلاة الجمعة قبل الركوع و جهر بالبسملة في صلاة المكتوبة و أسقط من أذان الصبح < الصلاة خير من النوم > وزاد < حي على خير العمل محمد و علي خير البشر > و نص الآذان طول مدة بني عبيد التكبير و التشهدين ثم يقول : أحياك الله يا مولانا حافظ نظام الدنيا و الدين ، جامع شمل الإسلام و المسلمين ، و أعز بسلطانك جانب الموحدين ، و أباد بسيوفك كافة الملحدين ، و صلى عليك و على

[1] : فرهاد " دفتري " ، الإسماعيليون في العصر الوسيط ، تر: سيف الدين القصير ، دار المدى للثقافة و النشر ، ط: 1 ، 1999 ، ص ، ص: 125 ، 126 .

[2] : موسى " لقبال " ، المرجع السابق ، ص ، ص: 409 ، 410 .

آبائك الطاهرين و أبنائك الأكرمين ، صلاة دائمة إلى يوم الدين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ."[1] ، و أتلف الخلفاء الفاطميين مصنفات أهل السنة و منعوا الناس من تداولها كما فعلوا بكتب " أبي محمد بن أبي هاشم التُجيبي ت 346 هـ " الذي ترك سبعة قناطير من كتب كلها بخط يده ، فرفعت إلى الخليفة الفاطمي فأخذها ، كما منع الفاطميون علماء أهل السنة من التدريس بالمساجد و كانت كتب أهل السنة لا تقرأ إلا في البيوت خوفًا من بطش بني عبيد و من أمثلة ذلك أن أبو محمد بن أبي زيد و أبو محمد بن التبان و غيرهما كانا يأتيان إلى بكر بن اللباد شيخ السنة بالقيروان في خفية فيجعلان الكتب في أوساطهما حتى تبتل بالعرق خوفًا من بني عبيد .

أ - محنة الفقهاء المالكية :

ذكر أن عبيد الله المهدي قتل جماعة من العلماء السنيين لم يعترفوا بأنه رسول الله , فعندما إدعى عبيد الله أنه رسول أحضر فقيهين من فقهاء القيروان و هو جالس على كرسي ملكه ، فأوعز إلى أحد خدمه ، فقال للفقيهين " أتشهد أن هذا رسول الله ؟ فقالا بلفظ واحد : و لو جاءنا هذا و الشمس عن يمينه و القمر عن يساره يقولان : إنه رسول الله ، ما قلنا ذلك ، فأمر بذبحهما ." و هذان الشيخان المغربيان هما " إبن الهذيل و إبن بردون " حيث قال الذهبي عن إبن بردون " هو الإمام الشهيد المفتي أبو إسحاق إبراهيم إبن بردون الضبي." و طلب منه لما جرد للقتل : أترجع عن مذهبك ؟ قال : أعن الإسلام أرجع ، فقد كان الخلفاء العبيديين يقتلون العلماء ممن لا يقولون بقولهم[2] , قال أبو الحسن القابسي صاحب الملخص " إن الذين قتلهم عبيد الله المهدي و بنوه أربعة آلاف في دار النحر في العذابٍ من عالم و عابد ليردهم عن الترضي عن الصحابة ." و الغرض من قتل العلماء كما قال الذهبي عن

---

[1] : إبن حماد " أبي عبد محمد " ، أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم ، تح: التهامي نفزة . عبد الحليم عويس ، دار الصحوة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ص ، ص: 50 ، 51 .

[2] : علي محمد " الصلابي " ، نشر صفحات مطوية... , المرجع السابق ، ص...ص: 70...73 .

عبيد الله المهدي : " أعدم العلماء و الفقهاء ليتمكن من إغواء الخلق ." كما حرموا الفقهاء الفتوى بمذهب مالك و إعتبروا ذلك جريمة يعاقب عليها بالضرب و السجن أو القتل أحيانًا حيث يدار بالمقتول في أسواق القيروان و ينادى عليه " هذا جزاء من يذهب مذهب مالك ." و لم يبيحوا الفتوى إلا لمن كان على مذهبهم كما فعلوا بالفقيه " **أبو عبد محمد بن** العباس بن الوليد " المعروف بالهزلي[1] و قتل العبيدين الفقيه إبن الحُبلي الذي أفتى " **بأن لا فطر** إلا مع رؤية الهلال ." فقد كان العبيدون يفطرون بالحساب و لا يعتبرون رؤية ، فلم يُرَ هلال ، فأصبح الأمير الفاطمي بالطبول و البنود و أهبة العيد ، فقال إبن الحُبلي : **لا أخرج و لا أصلي ، فكان** جزاؤه أن علق هذا الفقيه في الشمس إلى أن مات ، و كان يستغيث من العطش ، فلم يسق ، ثم صلبوه على خشبة ، ومن جرائم عبيد الله المهدي أن خيله دخلت المسجد ، فقيل لأصحابها كيف تدخلون المسجد ؟ فقالوا : إن أوراثها و أبوالها طاهرة ، لأنها خيل المهدي ، فأنكر عليهم قيم المسجد ، فذهبوا به إلى عبيد الله المهدي فقتله.[2] كما حرص العبيديون على منع التجمعات فكانوا يفرقون الناس الذين يجتمعون على جنازة من يموت من العلماء[3] و مما ذكه إبن الأثير " أن رجلاً يعرف (بالشريف) ومعه مجموعة من دعاة الإسماعيلية جلسوا عقب صلاة الجمعة و أرغموا الناس على الحضور إليهم و دعوهم إلى مذهبهم فرفض جلهم الدخول في دعوتهم فقتلوهم عدا البعض منهم ." .

إلا أن أغلب الفقهاء المالكية ظلوا ثابتين على موقفهم المتمثل في الرفض المطلق للمذهب الإسماعيلي رغم ما تعرضوا له من أقصى العقوبات كالضرب و السجن و القتل و بطرق وحشية ، و مما زاد في محنتهم هو إستعانة الفاطميين ببعض الفقهاء الأحناف الذين تشيعوا و منهم المروزي الذي ولى القضاء و كانت فترة ولايته من أحلك الفترات التي مرت على

[1] : علي محمد " الصلابي " ، نشر الصفحات الطوية...، المرجع السابق ، ص: 72 .

[2] : نفسه ، ص: 75 .

[3] : نفسه ، ص: 72 .

أهل السنة ، فقد قام بضرب أبا القاسم الطرزي ومنع العلماء من كتابة الوثائق إلا من تشيع منهم ، غير أن هذه الإجراءات التي طالت الفقهاء المالكية لم تثنيهم عنى مواجهة العبيديين إتقاء شرهم فإن جلهم قاوم المد الشيعي[1] .

ب - أثر المذهب الإسماعيلي على الجانب الإقتصادي :

مثلت بلاد المغرب أحد مصادر المالية الهامة بالنسبة للخلافة الفاطمية و إستعملت شتى الوسائل لجمعها ، فقد إستحدثوا ضرائب غير شرعية فلقد حرص القاضي النعمان في كتابه " **دعائم الإسلام** " على بيان شرعية ضريبة الخُمس* **مبررًا** أن من واجب المؤمنين أداء خمس ما يملكونه من مكاسب في أي زمان كان إلى الإمام العصر المنحدر من سلالة الرسول صلى الله عليه و سلم **و حاول القاضي نعمان** أن يجد في الفقه الشيعي الإسماعيلي الأسس الشرعية لضريبة الخُمس **كما** كان القاضي النعمان يستقي الأحاديث النبوية التي يستشهد بها لدعم نضرياته من الأحاديث الشيعية التي رواها جعفر الصادق فأصبح الخمس **في شكل** ضريبة تدفع مرة واحدة و قد كان دينار الهجرة الذي يؤديه كل واحد من أتباع المذهب الإسماعيلي[2] كما إستحدث المهدي ضريبة التضييع التي فرضت سنة 305 هـ / 917 م و هي من الضرائب الأرض و التي وصفت بأنها من بقايا التقسيط ، كما أقر عبيد الله المهدي ضريبة طريق إجباريًا للحجاج المارين على المهدية حيث يكون التوقف في

---

* **الخُمس :** يتمثل في حق الإمام في الخُمس الذي يتعدى نطاق المال الرسمي للدولة ، وهو الوافد من القنوات الشرعية ، إلى مال الرعية من شيعة الإمام مما كانت تمارسه في عصور الستر و الكتمان ، **ينظر :** سعد عبد الحميد " **زغلول** " ، تاريخ المغرب العربي - الفاطميون و بنو زيري الصنهاجيين إلى قيام المرابطين - ، ج: 3 ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ص: 116 .

[1] : حفيظ " **كعوان** " ، أثر الفقهاء المالكية الإجتماعي و الثقافي بإفريقية (2 - 5 هـ / 8 - 11م) ، مذكرة ماجستير في تاريخ الإسلامي ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة العقيد الحاج لخضر ، باتنة ، 2008 / 2009 ، ص ، ص: 134، 135 .

[2] : فرحات " **الشراوي** " ، المرجع السابق ، ص...ص: 484...486 .

موضع بندون لأداء ضريبة تسمى الشطور[1] و أشار القاضي النعمان بصريح العبارة في " إفتتاح الدعوة " إلى ضريبة المغانم لحساب الإمام قدرها خمس ما يملكه و يكسبه الفرد[2] أما الدلائل التي تثبت شمولية الضرائب لكل القطاعات الإقتصادية بالمغرب الأوسط إشارة إبن حوقل لمدين تنس " و هي أكبر مدن و لسلطانها بها وجوه من الأموال كثيرة كالخراج و الجوالي و الصدقات و الأعشار و مراصد على المتاجرة الداخلة والخارجة إليها ، علمًا لأن لها بادية من البربر كثيرة و قبائل فيها أموال جسيمة غزيرة ."[3] و ذكره " كان للبربر من المسيلة صدقات و خراج غزير ." و إقترن هذا بما توفرت عليه من محاصيل زراعية و ثروات حيوانية ، عمومًا هذه النصوص تشير إلى بعض ما جمع من أموال بالمغرب الأوسط خلال القرن 4 هـ / 10 م و الظاهر أن جباة الدولة قد حرصوا على تحصيل الأموال حتى العلماء تضرروا من الإستبداد الضريبي فمنهم على سبيل المثال أبو جعفر بن أحمد بن زيات (ت 318 / 930م) " الذي إمتحن في آخر عمره بمغارم السلطان الحادثة على أهل الضياع فإنكشف و أكب عليه الغم ." بالمقابل كان القاضي النعمان حريصًا على وصول الأموال إلى بيت المال الفاطمي ، وهو ما وضحه في كتابه " الهمة في إتباع الأئمة" في الفصل العاشر الذي تحدث فيه عن " ذكر ما يجب للأئمة الصادقين أخذه من أموال المؤمنين و المؤمنات ." مستهلاً الحديث عن الصدقات كأول مورد مالي في الإسلام لتتبع باقي الموارد من غنائم و غيرها مقصرًا على التعرض إلى الآراء التي ترى وجوب دفعها و لو كان إمام جائر ، أو عامل ظالم و تطبيقًا لهذه السياسة يحدثنا إبن عذاري عن أحداث

---

(1): سعد عبد الحميد " زغلول " ، المرجع السابق ، ص: 122 .

(2): فرحات " المشراوي " ، المرجع السابق ، ص: 485 .

(3): نول " بلمداني " ، نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنيين (4 - 5 هـ / 10 - 11م) ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي ، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، 2013 / 2014 ، ص: 151 .

سنة 307 هـ / 652م " و في سنة 307 هـ كان بإفريقية و ما ورائها إلى مصر طاعون شديد و غلاء السعر ، مع جور الشامل من الشيعة و التعلل على أموال الناس في كل جهة." كما أصبح لقواد الجيش الفاطمي الحرية في إتباع أساليب التي يرونها لجمع الأموال مثلما فعل بلكين بن زيري الذي هزم زناتة و سبى أمولهم و ذراريهم ، و أصبح العمال الفاطميين يجمعون أموالاً طائلة لفائدة بيت المال الفاطمي لسعيهم تولي المناصب العليا ، فيقيم العامل على نجاحه أو فشله من خلال ما يجمع من الأموال[1] ، وكان جمع الضرائب و مختلف الرسوم و المكوس يوفر لبيت المال موارد كثيرة من ذلك مثلاً أن إقليم الزاب كان يوفر للفاطميين " سبعين ألف دينار في السنة و أقل و أكثر ."[2] كما فرضت مغارم بشكل كبير على أهل البوادي فأرهق الجباة في إرهاق السكان بمطالب ضريبية مع حرصهم على جمعها و عدم رفع السوط عن أصحابها ، فكانت السياسة المالية الفاطمية تقوم على الجشع المالي فقد ساهمت الضرائب المجحفة في قيام بعض الثورات و هو ما يتأكد من جواب أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي*عندما ألقي عليه القبض سنة 336 هـ / 947م ، فلما سئل عما نقم فيه عن الخليفة الفاطمي ، كان رده " هذه القبالات التي فيها الجور على المسلمين ، فقمت منكرًا لذلك أريد إصلاح أمور الناس ." أي مسألة الضرائب التي دفعت بأهالي إلى إنتفاضة فبعد ثورة " صاحب الحمار " إضطر الخليفة الفاطمي إلى إصلاح النظام الجبائي الفاطمي ومن خلال منا نقله عماد الدين إدريس " فقد ترك الأمير أعزه الله ما يجب عليكم في هذه السنة الآتية ، من العشر و الصدقات و جميع اللوازم ، و فعل ذلك في جميع الناس مسلمهم و ذميهم ، رفقا و عونًا بهم على عمارة أرض و بواديهم فليبلغ الشاهد الغائب و

---

(1) : نول " بلمداني " ، المرجع السابق ، ص ، ص: 152 ، 153 .

(2) : فرحات " المشراوي " ، المرجع السابق ، ص: 491 .

* **أبي يزيد مخلد بن كيداد :** هو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بم كرمان بن مخلد بن عثمان إبن وُمريمت بن بقرانس بن سميدار بن يفرن ، **ينظر : المراكشي " إبن عذاري "** ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تح : س . كولان . إ ليفي بروفنسال ، ج: 1 ، دار الثقافة ،ط: 3 ، بيروت ، 1983 .

ليرجع كل بدوي منكم إلى باديته ثم إنه لا يوجد منهم إقبال السنين إلا العشر و الصدقة من الطعام و الشاة و الغنم و الثور من البقر و البعير من الإبل على فرائض الله ." فالإشارة إلى جميع اللوازم واضحة وهي تجاوزات دفعت بأهل المغرب الأوسط للقيام بالثورات[1] .

ج - التحالف المالكي الخارجي الأموي ضد الفاطميين :

كانت حركة أبي يزيد مخلد بن كيداد أول إمتحان رهيب للوجود الفاطمي في بلاد المغرب الأوسط ، و إنضم الفقهاء المالكيين إليها لأنهم إعتبروها أملاً و حيدًا للخلاص من الحكم و تسلط الشيعي الفاطميى و ساندوها بكل قواهم لأن وجه الحركة كان سنيًا يظهر الترحم على (الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما) و كان يحث على قراءة مذهب مالك ، وكان الشيخ أبي يزيد كما لقبه الفقهاء المالكية يدعوا إلى التكتل لقتال الشيعة ، فكان لإنضمام الفقهاء و العلماء الذين أشرفوا على تهيئة المعركة و على تعبئة القوى السنية بواسطة الخطب التي ألقيت في المساجد و الأحاديث و التي وضعت لتشجيع السكان على التجنيد و الجهاد كما وجه أبي يزيد إحتسابه إلى العامة فأخذ صاحب الحمار يحتسب على الناس في أفعالهم و مذاهبهم فلقيت تلك الدعوته ناجحًا[2] ثم عقد مؤتمر عام بإشراف فقهاء أهل السنة ومنهم : أبو الفضل العباس بن عيسى الممسي العالم الكبير* و ربيع بن سليمان القطان و أبو إسحاق السباي و أبو مالك بن مروان بن منصور الزاهد و إبراهيم بن محمد العشماء و أبو العرب التميم فبعد أن إتفق رأيهم على إعلان الثورة جهزوا أنفسهم و أتباعهم بالعدة الكاملة و ركزوا بنودهم قبالة مسجد القيروان ، و قد حملت هذه البنود و كان عددها سبعة شعارات

[1] : نول " بلمداني " ، المرجع السابق ، ص ،ص: 154 ، 155 .

[2] : موسى " لقبال " ، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي - نشأتها و تطورها - ، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ، ط: 1 ، الجزائر ، 1971 ، ص: 47 .

* **أبو العباس بن عيسى الممسي :** كان فاضلاً ، عالمًا ، صوامًا ، قوامًا ، ورعًا ، إستشهد في حرب بني عبيد مع أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي في معركة الوادي المالح ، **ينظر : المالكي " أبي بكر عبد "** ، كتاب رياض النفوس - في طبقات علماء القيروان و إفريقية و زهادهم و نساكهم و سير من أخبارهم و فضلائهم و أوصافهم - ، تح: بشير البكوش . محمد العروسي المطوي ، ج: 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ص ، ص: 292 ، 293 .

مختلفة و تميزت عن بعضها بألوان خاصة فكان بند الفقيه الممسي أحمر و كتب عليه شعار (**لا إله إلا الله محمد رسول الله ، لا حكم إلا لله وهو خير الحاكمين**) ومثله البندان اللذان رفعها ربيع بن سليمان القطان و قد كتب على إحداهما (**بسم الرحمن الرحيم لا إلّه إلا محمد رسول) و** في الآخر كتب (**نصر من الله و فتح قريب على يد الشيخ أبي يزيد اللهم أنصر وليك على من سب نبيك و أصحاب نبيك**) و كان مع أبو العرب التميم بند أصفر كتب عليه بعد البسملة الآية القرآنية { **قاتلوا أئمة الكفر** }**و كتب على البند الأخضر** الذي رفعه أبو النصر قوله تعالى : { **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم و يخزيهم و ينصركم عليهم**} **و كتب** على البند الأبيض الذي رفعه السباي بعد البسملة (**محمد رسول ، و أبو بكر الصديق و عمر الفاروق**) و إكتملت أعدادهم بخطبة أبي إبراهيم أحمد بن أبي الوليد التي ألقاها يوم الجمعة ، فطعن في الحكم الفاطمي و شهر بالخلفاء و أغرى جمهور أهل السنة بالعمل الجاد و حثهم على الجهاد و الإخلاص في قتال الشيعة إلى جانب الشيخ أبي يزيد مخلد بن كيداد[1] و بفضل أهل السنة و تأييدهم للحركة ، أحرز صاحب الحمار عدة **إنتصارات** كبرى ضد قادة الخليفة الفاطمي كما **إستخلص حواضر** إفريقية و منها القيروان مركز قوة المالكية[2] و هدد الخلافة الفاطمية بالسقوط ، و لما أصبح في مركز قوة **و أصبح** الخليفة المهدي محصورًا في المهدية[3] ثم إبنه **بعده القائم الفاطمي " و الذي مات محصورًا و في نفسه** مقهورًا **." وقد كلفت ثورة أبي** يزيد خزانة الدولة الفاطمية نفقات باهضة كما أضرت الحركة بمظاهر الحياة الإقتصادية **خاصًا** في إقليم الزاب إلى غاية واقعة الجمعة

---

(1) : **موسى " لقبال** " ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، المرجع السابق ، ص ، ص: 427 ، 428 .

(2) : **مؤلف** مجهول ، مفاخر البربر ، تح: عبد القادر بوبابية ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، ط: 1 ، **الرباط** ، 2005 ، ص: 142 .

(3) : **الورجلاني** " أبي زكريا يحيى " ، سيرة الأئمة و الأخبارهم ، تح: إسماعيل العربي ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1979 ، ص: 119 .

محرم 335 هـ / 946م[1] و هي المعركة التي كسبها الخليفة المنصور الفاطمي في موقعة قصور الحيتان في الزاب[2] و التي كانت بمثابة نهاية الحركة ، و كان الفاطميون قد كسبوا منذ عصر القائم الفاطمي ولاء صنهاجة و مساندتها لجهودهم في مواجهة ثورة صاحب الحمار و ذلك بإنضمام زيري بن مناد و رجال صنهاجة إلى جند كتامة و طبقة الفتيان مما منح الفاطميين ميزة التفوق العددي و قد أبلى زيري بن مناد الصنهاجي بلاءً حسنًا في الحرب حتى قيل أنه ألح على صاحب الحمار أثناء المعركة حتى ألقاه على الأرض[3] .

و الصراع بين الفاطميين و الأمويين من أجل السيادة العليا في المغرب الأوسط إبتدأت فصولها منذ عهد عبيد الله المهدي فكان أبي يزيد مخلد بن كيداد يميل إلى الأمويين في الأندلس ، فإبن عذاري يذكر أنه في شوال من سنة 333 هـ / 944م قدم إلى الناصر لدين الأموي رسولان من أبي يزيد مخلد بن كيداد يحملان له أخبار تغلبه على مدينتي القيروان و رقادة ، كما تواصلت كتب أبى يزيد و رسله على قرطبة منذ ذلك الوقت إلى حين وفاته ، ففي سنة التالية 334 هـ / 945م " جلس الناصر لدين الله الأموي لوداع السفارة الثانية التي أرسلها أبي يزيد إلى قرطبة و كانت تتكون من أهل القيروان وهم ثلاثة أفراد كبيرهم تميم بن أبي العرب التميم فأجابهم الناصر لما طلبوا و أذن لهم بإنصراف ." ، و يشير إبن خلدون لهذه السفارة أيضًا بأن صاحب الحمار بعث رسله في وفد من أهل القيروان إلى الناصر الأموي صاحب قرطبة يعلن إلتزامه الطاعة و القيام بالدعوة لبني أمية و يطلب من الخليفة الأندلسي أن يمده بالعون والمساعدة ، كما أرسل أبي يزيد مخلد بن كيداد السفارة الثالثة سنة 335 هـ / 946 م إلى قرطبة برئاسة ولده أيوب بن يزيد فأكرمه

---

(1) : موسى " لقبال" ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، المرجع السابق ، ص: 432 .

(2) : الجوذري العزيزي " أبي منصور علي " ،سيرة الأستاذ جوذر ، تح: محمد كامل حسين . محمد عبد الهادي شغيرة ، دار الفكر العربي ، ص: 49 .

(3) : موسى " لقبال " ، دور كتامة...، المرجع السابق ، ص: 432 .

الناصر و أمر بإنزاله في قصر الرصافة و قد أعد له من الفرش و الوطاء و الغطاء و الآنية و الآلة فأقام هناك تحت نزل واسع . "[1] ومما يتضح أن الناصر لدين الله الأموي قد تدخل في الحرب إلى جانب أبي يزيد صاحب الحمار تدخلاً مباشرًا و إيجابيًا فلم يقف عند حد التأييد السلبي فقط بل قدم للثورة كل ما تتطلبه الحرب من عتاد و مال و ربما يكون قد أرسل بجيوشه و قواده لمساندة هذا الثائر الزناتي و قد بلغت الإمدادات و الإعانات التي قدمها الناصر لصاحب الحمار مبلغًا كبيرًا إذ كان الناصر يقوم بسك النقود و ضربها له في دار السكة بقرطبة و وهو ما يكلفه جزءًا من ذهب الخزانة الأندلسية[2] .

و منه نستنتج أن التحالف الكتامي الصنهاجي كان له الدور الكبير في توطيد أركان الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب ، إلا أن السياسة المذهبية الفاطمية قامت على أساس فرض المذهب الشيعي الإسماعيلي و اضطهاد فقهاء أهل السنة ، كما أنهم إستحدثوا ضرائب غير شرعية أثقلت كاهل الرعية فنتج عن ذلك قيام عديد من الثورات في المغرب الأوسط و التي كانت من أكبرها ثورة صاحب الحمار بمساعدة الأمويين في الأندلس و بمباركة فقهاء أهل السنة .

---

[1] : عبد العزيز " فيلالي " ، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب ، دار الفجر لنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص ، ص: 170 ، 171 .

[2] : نفسه ، ص: 171 .

الفصل الثاني : الدور الصنهاجي في العودة إلى المذهب السني

- أولا : المذهب السني " المالكي " في ضل الدولة الحمادية :ص....ص: 30...31 .

- ثانياً : دور الزيرين في تبني المذهب السني المالكي " أسبابه ومظاهره " :ص....ص : 32 ...42 .

عمل الصنهاجيين بعد حكمهم لبلاد المغرب على التخلص من التبعية المذهبية و السياسية للفاطميين فبدأت بوادر التحول المذهبي تبرز شيئًا فشيئًا إلى إعلان الصنهاجين عن تبنيهم للمذهب السني و نبذ التشيع و مبايعتهم للخلافة العباسية **ببغداد** بعد بداية إنهيار الفاطميين.

أولا. المذهب السني " المالكي " في ضل الدولة الحمادية :

- حماد بن بلكين يتبنى المذهب السني "المالكي " :

كان حماد بن بلكين كما وصفه لسان الدين إبن الخطيب قائلاً : " وكان حماد نسيج وحده وفريد دهره وفحل قومه ، ملكاً كبيرا وشجاعاً ثبتاً ، وداهية حصيفاً ، قد قرأ الفقه بالقيروان ، ونظر في كتب الجدل ، وأخباره مشهورة ، وهو الذي بنى القلعة* **المنسوبة إلى حماد** بالحضرة الباقية الأثر على توالي الغير وتسمى غياثا ، فإتخذ بها القصور العالية ، والقصاب المنيعة ، والمساجد الجامعة والبساتين الأنيقة ونقل إليها الناس من سائر البلاد ."[1] وقد شهد المغرب الأوسط أول خروج رسمي علني عن مذهب الخلافة الفاطمية الشيعي الإسماعيلي و ذلك بتبنى المذهب السني المالكي فكان بطل هذا الخروج حماد بن بلكين[2] وقد ذكر إبن خلدون في قوله " فأبى حماد وخالف دعوة باديس وقتل الرافضة وأظهر السنة ، ورضي عن الشيخين ونبذ طاعة العبيديين جملة ، وأرجع دعوة آل العباس وذلك سنة خمس وأربعمائة وزحف على باجة ، فدخلها بالسيف ودس إلى أهل تونس الثورة على المشارقة والرافضة ."[3] وأخذ حماد يعمل للإستقلال عن باديس فأحس هذا الأخير

***قلعة بني حماد :** مدينة متوسطة بين أكم وأقران لها قلعة عظيمة على قمة جبل يسمى تاقربوست وهي قاعدة ملك بني حماد ، **ينظر:** ياقوت الحموي " شهاب الدين" ، **المصدر السابق** ، ج: 4 ، ص: 390 .

[1] : **الغرناطي** " لسان الدين إبن الخطيب " ، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط - **أعمل الأعلام** - ، تح: **أحمد مختار العبادي** . محمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1964 ، ص ، ص: 85 ، 86 .

[2] : عبد الحليم " عويس" ، **دولة بني حماد** - صفحة رائعة من التاريخ الجزائري - ، **دار الصحوة لنشر** والتوزيع ،ط: 1 ، القاهرة ، 1991 ، ص: 167 .

[3] : **إبن خلدون " عبد الرحمن "** ، ديوان المبتدأ أو الخبر...، **المصدر السابق** ، ج: 6 ، ص: 227 .

بذلك ، فأراد إختبار طاعته ، فكتب إليه طالباً أن يتنازل عن عمل قسنطينة* والقصر الإفريقي لفائدة ولده وولي عهده المنصور فأبى حماد وأظهر الخلاف[1] .

لقد تمكن حماد بن بلكين من تشكيل نظام حكم مركزي متخذاً من القلعة التي بناها سنة (389 هـ/1007م) عاصمة له ، وقد عملت الأسرة الحمادية منذ زمن مؤسسها على توحيد بلاد المغرب الأوسط عقائديًا وفقهيًا من خلال القطيعة مع القاهرة سياسيًا ومذهبيًا والإعلان الولاء للخليفة العباسي ببغداد والتشريع بالمذهب المالكي[2] وتمثل فترة بناء قلعة بني حماد زمن إستقرار النهائي للمذهب المالكي في معظم مدن المغرب الأوسط نتيجة الإرادة السياسية للسلطة الحمادية من جهة ومجهودات الفقهاء المالكية وعلى رأسهم " أبي حفص عمر بن الحسين الصابوني" من جهة ثانية والذي أصبح بمثابة رأس المدرسة المالكية بالمنطقة وحدث خلال هذه فترة التقارب بين السلطة السياسية والعسكرية الممثلة بالعائلة الحمادية وسلطة الفقهاء من خلال توظيف الكثير منهم في الوظائف القضائية[3] ، أدى هذا إلى إنتشار مذهب إمام دار الهجرة في كامل بلاد المغرب الأوسط وإلى تراجع تيارات الإباضية جنوبًا وإنحصارها في واحات ورجلان**وبلاد بني مصعب كما إختفت تيارات التشيع الإسماعيلي والمعتزلة " الواصلية "[4] وإتجهت الحياة الدينية إلى دراسة الأحاديث المجموعة في (كتب الفروع) وفقًا لمدرسة الحديث التي كان إمامها " مالك بن أنس " ، وكانت الكتب المالكية الشهيرة (كموطأ مالك) و (التلقين) " لعبد الوهاب البغدادي" ،

*** قسنطينة :** هي مدينة عجيبة حصينة ، وبها للأوائل آثاراً عجيبة ومبان متقنة وأكثرها من حجر المنحوت ، **ينظر:** العبدري " أبي عبد الله محمد " ، رحلة العبدري ، تح: علي إبراهيم كردي ، دار سعد للطباعة والنشر والتوزيع ، ط: 2 ، 2005 ، ص: 94 .

[1] : محمد "طمار" ، المغرب الأوسط في ضل صنهاجة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010 ، ص: 75 .

[2] : عمارة "علاوة" ، دراسات في تاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية ، 2008 ، ص ،ص: 100 ،101 .

[3] : نفسه ، ص: 134 .

**** ورجلان:** كورة بين إفريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخل والخيرات يسكنها قوم من البربر **ينظر:** ياقوت الحموي " شهاب الدين" ، المصدر السابق ، ج: 5 ، ص: 371 .

[4] : عمارة " علاوة" ، المرجع السابق ، ص: 134 .

و(الواضحة) " لإبن الحبيب " ، و(العتبية) " للعتبي" ، و(الأسدية) التي جمعها " أسد بن فرات " و (المدونة) التي جمعها في الفقه المالكي (أبو سعيد سحنون بن سعيد)[1] .

ثانيا. دور الزيرين في تبني المذهب السني المالكي " أسبابه ومظاهره " :

أ – بوادر التحول :

خلال ما يناهز نصف القرن توالى على حكم ملوك بني زيري الثلاثة الأوائل : بلكين(361 – 373 هـ / 972 – 984م) والمنصور (373 – 386 هـ / 984 – 996م) وباديس (386 – 406 هـ / 996 – 1016م) عمل هؤلاء الحكام في مواصلة تثبيت دعائم الدولة الزيرية[2] و بدأت بوادر التحول المذهبي و الإنفصالي عن الشيعة الفاطمية بمصر منذ عهد " المنصور بن بلكين " ، فقد خطب في المُعَزيينَ في وفاة والده والمهنئين له[3] فقال " ...إن أبي وجدي أخذ الناس بالسيف قهرا و أنا لا أخذهم إلا بإحسان ، وما أنا في هذا الملك ممن يولي بكتاب ، ويعزل بكتاب لأني ورثته عن أبائي وأجدادي حمير."[4] حسب ما ذكره إبن عذاري بمعنى أن إمارته ليست هيئة فيولى أو يعزل عنها بمجرد كتاب يصدره الخليفة ، وتوطدت علاقة الزيريين بأتباع المذهب المالكي بما أن المنصور بن بلكين الصنهاجي إفتتح عهده بتقديم عشرة آلاف دينار لفائدة " وجوه الناس من شيوخ القيروان وغيرهم ."[5] ، فبدأ الفاطميين يدقون ناقوس الخطر حيث قام الخليفة الفاطمي " العزيز" بتأليب الكتاميين

---

(1) : عبد الحليم " عويس" ، المرجع السابق ، ص ، ص: 257 ، 258 .

(2) : إدريس هادي " روجي " ، الدولة الصنهاجية ، تر: حمادي الساحلي ، ج: 1 ، دار الغرب الإسلامي ،ط: 1 ، بيروت ، 1992 ، ص: 73 .

(3) : حسن أحمد " خضيري" ، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (362-567 هـ / 973-1171م) ، مكتبة مدبولي ،ط:1 ، القاهرة ، ص: 42 .

(4) : المراكشي " إبن عذاري " ، المصدر السابق ، ص: 240 .

(5) : نجم الدين " الهنتاني" ، المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي - إلى المنتصف القرن الخامس الهجري - ، الحادي عشر ميلادي ، بتر الزمان ، تونس ، 2007 ، ص: 172 .

أحلافهم القدامى ضد بني زيري فقد أرسل داعيا إلى كتامة بقصد إثارتهم ضد زيريين[1] ، إلا أن ردة فعل "المنصور الزيري" كانت قوية حيث قتل هذا الداعي الذي أرسله الخليفة الفاطمي " العزيز" فقام هذا الأخير بإرسال مبعوثين يحملان رسالة ينهاه فيها عن التعرض لكتامة وحذره من العصيان هذا الأمر وأنذره بقيام كتامة بالقبض عليه وإرساله إلى القاهرة مكبلا بالحبال مما أثار سخط الأمير الزيري " المنصور" الذي حجز مبعوثي الخليفة وزحف إلى بلاد كتامة في سنة (378 هـ/ 988م) ، إلا أن الخليفة الفاطمي " العزيز" أضطر بأن يرسل سنة (382 هـ/ 988م) سجلا للمنصور يعترف بإبنه " باديس " وليا للعهد[2] ، على الرغم من العلاقات الودية التي كانت تجمع الخليفة الفاطمي " الحاكم " بالأمير الزيري " باديس " إلا أن الخليفة الفاطمي أراد إزالة سلطان بن زيري على إقليم طرابلس[3] وكان قد إستولى عليها يأنس الصقلي سنة (390 هـ / 1000م)[4] و أرسل باديس إليه يسأله عن سبب وصوله طرابلس وهل لديه عهد بولاية من الخليفة ، فكان رد يأنس " إنما أرسلني معينا ونجدة إن إحتيج إلي ، ومثلي لا يطلب عهد بولاية لمحلي من دولة الحاكم " ، لم يرضى الأمير الزيري باديس عن خروج طرابلس من سلطانه كما لم يقتنع بهذا الرد الإستفزازي من يأنس ، فعزم على إستعادة طرابلس ، فأرسل جيشا بقيادة " جعفر بن حبيب" فاصطدم بالجيش الفاطمي خارج المدينة في معركة حامية الوطيس إنتهت بمقتل الوالي الفاطمي ولاذ بقية الجيش وراء أسوار المدينة التي ضرب عليها حصارا فطالبت القوات الفاطمية النجدة من الخليفة الفاطمي " الحاكم" فإستجاب لذلك وعقد " ليحيى بن علي بن حمدون الأندلسي " أحد أعداء الزيريين على رأس جيش ومنحه أموال

(1) : النويري " شهاب الدين أحمد " ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تح: عبد المجيد ترحيني ، ج:24 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص: 100 .

(2) : حسن أحمد" خضيري" ، المرجع السابق ، ص ، ص ، 45 ، 46 ،

(3) : نفسه ، ص ، ص : 48 ، 49 .

(4) : إدريس هادي "روجي " ، المرجع السابق ، ج:1 ، ص: 136 .

برقة وما لبث أن إنظم بقواته إلى الجيش " فلفل بن سعيد " للقيام بعمل بمشترك ضد الأمير زيري ولكن هذا التحالف لم يقدر له النجاح مما إضطر **بإبن حمدون إلى الرجوع إلى مصر** وتعرضه لمسائلة " **الحاكم**" وسخطه ومن المرجح أن الخليفة الفاطمي " **الحاكم**" هو الذي لجأ إلى قبيلة زناتة وحفزها للإستطان بطرابلس بقيادة " فلفل بن سعيد " وأطمعها إقتناعا منه لإستغلالها في ميدان المنافسة **ضد بني** زيري في طرابلس[1] ، **وفي سنة** 404 **هـ وصل** سجل الحاكم الخليفة الفاطمي إلى نصير الدولة " باديس زيري" يذكر فيه أنه جعل ولاية العهد في حياته لإبن عمه " أبي القاسم عبد الرحمان بن إلياس " ، فقرئ بجامع القيروان والمنصورية وأثبت إسمه مع إسم " **الحاكم**" في البنود والسكة فعظم ذلك على باديس ، فقال " لولا أن الإمام لا يعترض على تدبيره لكتابته ألا يصرف هذا الأمر من ولده إلى إبن عمه."[2] ، **كما قامت ثورة ذات طابع سني** ضد الفاطميين في برقة **تركت** آثارا مذهبية معادية للفاطميين في مناطق نفوذهم بالمغرب وقادها أحد أفراد البيت الأموي ويسمى " الوليد بن هشام إبن المغيرة إبن عبد الرحمان الداخل ويلقب بأبي ركوة* " مما سيترتب عنها أسوأ النتائج في العلاقات الفاطمية الزيرية ، ذلك أن موقف أمراء بني زيري من هذه الثورة كان يشوبه الغموض حيث لم يهبوا لنصرة الخلافة الفاطمية في أحلك أوقاتها جراء هذه الثورة وإكتفوا بالحياد ، وربما سبب ذلك أن بني زيري كانوا يرجون ساعة الخلاص من التبعية الفاطمية بالقاهرة ووجدوا في هذه الثورة السنية ضالتهم المنشودة في الإستقلال بإمارتهم والسيطرة على المقدرات بلادهم ويدعم هذا الرأي ما ذكره الداعي الفاطمي " عماد الدين إدريس" نقلا عن صاحب السيرة الحميرية الكتامية أن الأمير الزيري باديس وصل القاهرة وهو في طريقه للحج أثناء ثورة " **أبي الركوة** " "...فعظم باديس حاله ،

---

(1) : **حسن أحمد** " خضيري" ، **المرجع السابق** ، ص: 49 ،

(2) : إدريس هادي " **روجي**" ، **المرجع السابق** ، ج:1 ، ص: 126 .

* **أبي الركوة :** " هو أموي من ذرية هشام بن عبد الملك ، كان يحمل الركوة في السفر ويتزهد كما لقي المشايخ وكان يدعوا إلى القائم من بني أمية ولعن الحاكم الفاطمي ." **ينظر: الحنبلي** " شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحق" ،**شذرات** الذهب في أخبار من ذهب ، ج: 4 ، **تح:** عبد القادر الأرناؤوط ، دار إبن كثير ، ط: 1 ، **دمشق** ، 1976 ، **ص:** 5 .

وذكر قوته وكثرة جموعه ، والحاكم صامت ، فلما حج باديس ورجع إلى مصر وإستأذن الحاكم في المسير إلى إفريقية ، أخرهُ الحاكم الذي كان قد إنتصر على أبي الركوة ليشهد إحتفالات النصر ، ومن المرجح أنه قصد بتأخير باديس إرهابه ، و على الأقل عتابه على تقاعسه في نجدة الخلافة وكان على الخليفة الفاطمي "**الحاكم**" أن يعيد موازينه في السياسة المعادية لأهل السنة فنجده بعد القضاء على هذه الثورة ، يأمر بمحو سب السلف "**الصحابة**" ولعنهم وكان قد أمر بنفسه بذلك سنة (395 هـ / 1004م) **في المساجد**[1] ، ويقول المقريزي : " وطاف متولي الشرطة حتى أزال سائر ما كان منه ، هذا **فضلا عن** أوامره إلى أصحاب الشرطة بالقبض على من يسب السلف ."[2] ، ولعل ذلك يفسر **لنا تقلبات " الحاكم بأمر الفاطمي** " في سياسته مع أهل السنة فهو لم يكن متناقضا أو مجوننا ، إنما كان سياسيا بارعا يتخذ سياسية ملائمة حسب ما يقتضيه الحال مع خصومه وأعدائه وهكذا كانت العلاقات بين الخلافة الفاطمية وبني زيري تتأرجح مابين الصعود والهبوط تبعا للظروف ومقتضى الأحوال خلال العقود الأربعة منذ إنتقال المعز لدين الله **الفاطمي إلى مصر حتى خلافة الحاكم بأمر** [3] .

ب : التحول نهائيا من المذهب الشيعي الإسماعيلي إلى المذهب السني المالكي :

يعتبر عهد المعز بن باديس*علامة مميزة في تاريخ الدولة الزيرية حيث أنه العهد الذي أنهى التشيع الإسماعيلي **الفاطمي في بلاد المغرب والذي إستمر قرن ونصف القرن ساد** فيها المذهب الفاطمي على حساب المذهب السني " **المالكي** " الذي كانت له السيادة على **المستوى الشعبي** . فقد إنقطعت العلاقة بين المغرب والقاهرة سياسيا ومذهبيا في عهد المعز

(1) : **حسن أحمد**" خضيري" ، **المرجع السابق** ، **ص...ص** : 50...53 .

(2) : المقريزي " تقي الدين أحمد " ، **المصدر السابق** ، ج: 2 ، ص: 67 .

(3) : **حسن أحمد** " خضيري " ، **المرجع السابق** ، **ص...ص** : 52...54 .

* **المعز بن باديس الصنهاجي :** هو أبو التميم "**شرف الدولة** " **رابع ملوك** بني زيري الصنهاجيين التي حكمت إفريقية سنة (362 – 543هـ / 972 – 1148م) ، **ينظر : محمد " الطالبي** " ، في تاريخ إفريقية " **أعلام . مواقع** . قضايا " - دائرة المعارف الإسلامية التونسية -، تر: العربي عبد الرزاق ، بيت الحكمة ، 1994 ، ص: 67 .

بن باديس لإعلانه الخطبة على المنابر بإسم الخلافة العباسية فعادت المذهب السني بشكل كامل إلى بلاد المغرب وإنتهت أزمة التشيع ومعاناة المشايخ المالكية على أيدي السلطات الشيعية كما بدأت فترة معاناة الشيعة الذين دفعوا الثمن غاليا ، هذا وبلغت حضارة القيروان ذروة عصورها الذهبية بفضل الأموال الطائلة التي كانت ترد إلى بيت المال من مصادرها الكثيرة[1] ، كما نبغ عدد كبير من العلماء والأدباء علمًا أن الرقيق مؤرخ المعز وكاتبه الخاص قد أطنب في ذكر بذخ البلاط الصنهاجي الذي بلغ أوجه في عهد المعز حيث لم ينفك عن إظهار معالم السخاء الخارق بمناسبات الأفراح والإستقبالات الرسمية والمآتم[2] وإزدهرت الحياة العلمية ذلك أن المعز نفسه كان أديبًا وشاعرًا[3].وتولى المعز بعد وفاة أبيه سنة(406 هـ / 1015م) وكانت سنه ثماني سنوات فقام بالأمر من دونه أعمامه ورجال دولته حتى بلغ سن الرشد ، فهو يعتبر من أكبر الأمراء المسلمين خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وقد أثنى عليه معظم المؤرخين المسلمين[4] .

ج : مظاهر التحول :

إختلفت الروايات التاريخية في دور المعز بن باديس الصنهاجي في العودة للمذهب أهل السنة وتتبع الشيعة والقضاء عليهم ، وذلك منذ سنة (407 هـ / 1016م) ويرجع إبن عذارى سبب ذلك إلى أن المعز بن باديس كان قد تتلمذ على يد وزيره " أبي الحسن بن أبي الرجل " ، حيث كان ذا علم وزهد فعلمه وأدبه ورغبه في مذهب مالك وفي حب السنة النبوية لاسيما أن المعز كان قد تولى إمارة إفريقية والمغرب وعمره ثماني سنوات حيث لم يكن له دراية بالحكم ، فكفلته عمته " أم ملال" التي كانت في إستقبال المُعَزينَ في أخيها

---

[1] : سعد عبد الحميد " زغلول " ، المرجع السابق ، ص: 73 .

[2] : إدريس هادي " روجي " ، المرجع السابق ، ج: 1 ، ص: 171 .

[3] : المعز بن باديس " أبو التميم " ، عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب ، تح: نجيب مايل الهروي ، مجمع البحوث الإسلامية ، ط: 1 ، إيران ، ص: 15 .

[4] : حسين " مؤنس " ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، دار الرشاد ، 2004 ، ص: 161 .

المتوفي " باديس" وكذلك لتهنئتها بولاية إبن أخيها المعز وهكذا مارست السيدة أم ملال مهمتها كوصية على الأمير الصغير المعز إلى أن بلغ سن الرشد[1] فكان لهذه السيدة التي لا يمكن إنكار دورها في توجيه المعز لمذهب أهل السنة[2] ، و يذكر إبن عذاري " أن المعز خرج في بعض الأعياد إلى المصلى وهو غلام فكابه فرسه فإستنجد بالشيخين أبي بكر وعمر فكادت الشيعة التي في عسكره تقتله لولا عبيده ورجاله الذين كانوا يكتمون السنة ووضعوا السيف في الشيعة فقتلوا منهم ما يزيد على ثلاثة آلاف وجرى الدم غزيرا حتى غطى بقعة كبيرة من الأرض أطلق عليها إسم بركة الدم ."[3] وغداة دخول المعز إلى المنصورية يوم السبت (16 محرم 407 هـ / 25 جوان 1016م) قام بجولة في شوارع المدينة راكبا فرسه " والناس يسلمون عليه ويدعون له فإجتاز بجماعة فسأل عنهم فقيل: " هؤلاء رافضة " ويقابلهم أهل السنة ، فقال: من هم أهل السنة ومن هم الرافضة ؟ ، فقيل: أهل السنة هم الذين يقولون " رضي عن أبي بكر وعمر" أما الرافضة فهم الذين يسبون الشيخين ، فقال الأمير" رضي عن أبي بكر وعمر"[4] لأن فضل الشيخين جاء في السنة المطهرة ففي صحيح البخاري دليل عل ذلك من خلال الأحاديث التي جاءت كتالي : **حدثنا مسلم بن** إبراهيم **: حدثنا وهيب حدثنا أيوب ، عن عكرمة ، عن إبن العباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً ، لإتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي }** ، **كما ذكر ، حدثنا يحيى بن قزعة ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله**

---

(1) : عبد الرءوف " جرار" ، سقوط الدولة الفاطمية في المغرب ونبذ التشيع ، **مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات** ، العدد: 20 ، 2010 ، ص: 127 .

(2) : سعد عبد الحميد " زغلول" ، المرجع السابق ، ص: 38

(3) : المراكشي " إبن عذاري " ، المصدر السابق ، ج: 1 ، ص: 274 .

(4) : إدريس هادي " روجي" ، المرجع السابق ، ج: 1 ، ص: 180 .

عليه وسلم { لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس مُحَدثون فإن يك من أمتي منهم أحد فعمر }[1].

يذكر إبن بسام أن المعز كان وراء هذه المأساة التي لحقت بالشيعة ، يتجلى ذلك في قوله " فأول ما إفتتح به شأنه وثبت به فيما زعم سلطانه ، قتل الرافضة و مراسلة أمير المؤمنين ببغداد ، فبعث إليه بعده ، وجاءت الخلعة واللقب من عنده. "[2] ، بينما يذكر إبن خلدون " أن المعز كان منحرفا عن مذاهب الرافضة منتحلا لأهل السنة وأعلن بذلك في أول ولايته وهو الذي حمل أهل المغرب على التمسك بمذهب مالك "[3] وذكر إبن الأثير في سياق ذكره في تحول المعز للدعوة للخلافة العباسية في هذه السنة أي (435 هـ / 1043م)

" أرسلت رموز الإمارة من قبل ديوان بغداد ، وتتمثل في سيف (مرصع) وفرس (بسرج محلى) وأعلام (مطرزة مذهبة) وذلك عن طريق القسطنطينية - إحتازًا من أن تؤخذ في الطريق البري من مصر إلى القيروان - وكان وصول الإعلام يوم الجمعة في وقت الصلاة. " ، فدخل بها إلى الجامع والخطيب وقتئذ في الخطبة الثانية أي قبيل النزول من أعلى المنبر ومع ذلك لم يفته الإشارة إلى الحدث الهام ، فقال عنها أي (الأعلام) : " هذا لواء الحمد يجمعكم ، وهذا معز الدين يسمعكم ، وأستغفر الله لي ولكم. " ومنذ ذلك الوقت قطعت الخطبة للفاطميين وأحرقت أعلامهم حيث ذكر إبن خلدون " عندما حنق المعز الصنهاجي على اليازوري و إنحرف عنه حلف لينقض طاعتهم وليحولن الدعوة لبني العباس وأنه قطع أسمائهم من الطرز والرايات ، وبايع القائم ودعا له وأنه وصله بعد ذلك أبو الفضل البغدادي ، مبعوث الخليفة العباسي وحظي بالتقليد والخلع ، وقرئ كتابه بجامع القيروان ." ، وذكر إبن عذاري " أن المعز بن باديس أمر وقتئذ بالدعوة على منابر إفريقية للعباس بن عبد المطلب ، وقطع الدعوة الشيعية للعبيديين ، فدعا الخطيب للخلفاء الأربعة

---

[1] : البخاري " أبي عبد الله محمد إبن إسماعيل الجعفي" ، صحيح البخاري ، ضبطه ورقمه : مصطفى ديب البغا ، ج: 1 ، دار إبن كثير، دمشق ، ص...ص: 1337...1349 .

[2] : إبن بسام " أبو الحسن علي" ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تح: إحسان عباس ، ج: 4 ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط: 1 ، بيروت ، 1979 ، ص ، ص: 613 ، 614 . المراكشي " عبد الواحد" ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح: محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1994 ، ص: 282 .

[3] : إبن خلدون " عبد الرحمن " ، ديوان المبتدأ أو الخبر...، المصدر السابق ، ج: 6 ، ص: 211 .

ولبقية العشرة ."[1] ، وكان المعز بن باديس يأخذ برأي أهل السنة ، فقد أرسل إلى الفقيه السني القيرواني يسأله الفتوى في الطرز التي فيها أسماء الخلفاء العبيديين وغيرها مما يلبس أو يصلى بها فأجابه الفقيه بقوله " يجب على من بسط الله يده أن يمنع من ذلك ." كما ذكر أن المعز بن باديس كان يسب بني عبيد سرًا وأنه كاتب الجرجائي وزير الخليفة المستنصر بالله الفاطمي يحاول الوقيعة بينهما ، تمثل ذلك في بيت من الشعر قاله المعز هذا نصه :

وفيك صاحب قوماً لا خلاق لهم   لولا ما كنت أدري أنهم خلقوا .

فهو يبجل الوزير ويحتقر الخليفة " ويغريه به ." ، إلا أن الجرجائي كان فطناً فقال لأصحابه " ألا تعجبون من صبي بربري مغربي أن يخدع شيخاً عراقياً ؟! "[2] وذكر إبن عذاري المراكشي أن الأمر لم يقف عند إستبدال الخطبة العباسية بالفاطمية بل أن الأمر تجاوز خلع العبيديين إلى التصريح بلعنهم من أعلى المنابر، فيقول " قال إبن شرف: وأمر المعز بلعنهم في الخطب وخلعهم ولما كان العيد الأضحى ، أمر الخطيب أن يسب بني عبيد ، فقال : اللهٌم ، وألعن الفسقة الكبار ، المارقين الفجار ، أعداء الدين ، وأنصار الشياطين ، المخالفين لأمرك والناقضين لعهدك ، المتبعين غير سبيلك ، المبدلين لكتابك ، اللهٌم وألعنهم لعناً مبيناً وأخزهم خزياً عريضاً طويلاً. "[3] وقال إبن الشرف: " وفي سنة 441 هـ أمر المعز بتبديل السكة في شهر شعبان فنقش على الأزواج { وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ }* وفي الوجه الثاني : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأمر أيضا بسبك ما كان عنده من الدنانير التي عليها أسماء بني عبيد ، فسبكت وكانت أموالاً عظيمة ، ثم بعث في الناس قطع سكتهم وزوال أسمائهم من جميع الدنانير

---

[1] : سعد عبد الحميد " زغلول" ، المرجع السابق ، ص، ص: 389 ، 390 .

[2] : حسن أحمد " خضيري" ، المرجع السابق ، ص ، ص: 60 ، 61 .

[3] : المراكشي " إبن عذاري" ، المصدر السابق ، ج: 1 ، ص: 278 .

*سورة آل عمران : الآية 75 .

والدراهم "[1] ، وذكر روجي الهادي إدريس وجود وثيقة أصلية حول القطيعة ولكنها غير مؤرخة وهي عبارة عن مخطوط بجامع القيروان يتمثل في صفحة من الصفحات مصحف من الأرجح أن تكون الصفحة الأولى ، وقد كتب عليها بخط المعز ذاته حسب الإحتمال العبارات التالية " من عبد الله ووليه المعز لدين الله ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وأن أفضل إنسان بعد رسول الله هو أبو بكر ثم عُمر ثم عثمان ثم علي ، رضي الله عنهم ، اللهّم ألعن بني عبيد أعدائك وأعداء نبيك ، نفعنا الله بكرههم جميعاً ، إني حبست هذا المصحف على جامع القيروان حباً في الله سبحانه وتعالى. "[2] .

ج – الإنتقام من الشيعة الإسماعليين :

وحكي في قتل الشيعة حكايات عديدة ، فيذكر الدباغ "...قتلت العامة الرافضة بالقيروان أقبح قتل وحرقوهم ونهبوا أموالهم وهدموا ديارهم وقتلوا نسائهم وصبيانهم وجرحوهم بأرجل وكانت صيحة من الله سلطها عليهم وخرج الأمر من القيروان إلى المهدية*وساير بلادهم فقتلوا حيث وجدوا وأحرقوا بالنار فلم يترك أحد منهم بمداين إفريقية إلا من إختفى ، ولجأت الرافضة إلى مساجد المهدية فقتلوا فيها حيث وجدوا ، هدموا دار الإمارة ، وتقدمت العامة بذلك إلى جماعة من أهل السنة ومن غيرهم ، فلقد حكي أن العامة جاءت متعلقة برجل إتهموه برأيهم ، فمروا على شيخ من العامة فسألهم عن تعلقهم به فقالوا نسير به إلى الشيخ أبى علي بن خلدون فننظر ما يأمرنا به ، فقال لهم الشيخ العامي: لا إقتلوه الآن فإن كان رافضيا أصبتم وإن كان سنياً عجلتم بروحه إلى الجنة الآن أو كما قال: فإنتقم □ منهم على أيدي عامة المسلمين وقتلوهم كل مقتل "[3] .كما تم مهاجمة حي الشيعة الإسماعيليين في درب المعلى وذلك بمناسبة شهر محرم للإحتفال بعاشورا حيث يذكر إبن الأثير قوله " فإنصرفت العامة من فورها إلى درب المعلى بالقيروان و هو مكان تجتمع فيه الشيعة ،

---

[1] : إدريس هادي " روجي" ، المرجع السابق ، ج: 1 ، ص: 236 .

[2] : نفسه : 236 .

[3] : الدباغ " أبو زيد عبد الرحمن " ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تح: محمد ماضور، ج: 3 ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ص ، ص: 153 ، 154 .

فقتلوا منهم عدداً كبيراً من الرجال والنساء والأطفال...وإنبسطت أيدي العامة في الشيعة...فقتل من الشيعة خلق كثير." وفي يوم (12 جمادى الأولى 407 هـ/ 17 أكتوبر 1016م) " إجتمع بدار محمد بن عبد الرحمان نحو ألف وخمسمائة رجل من الشيعة ، فإذا خرج أحد منهم لشراء قوته قتل ، حتى قتل أكثرهم ، وقد تمت محاصرتهم و إضطرهم الجوع إلى الخروج ، فقتلوا عن آخرهم ."[1] و أكد إبن عذاري أن المسلمين سروا بمقتل الشيعة " وذلك لما ظهرت الكتب التي وجدي بديارهم وكان فيها من الكفر وتعطيل للشريعة وإباحة المحارم."[2] ففي سنة (409 هـ / 1018م) . " خرجت من القيروان طائفة من الشيعة نحو مائتي فارس بعيالهم وأطفالهم يريدون المهدية للركوب منها إلى صقلية وبُعث معهم الخيل فلما وصلوا إلى قرية (كامل) وباتوا بها تنافر أهل المنازل عليهم ، فقتلوهم وفضحوا بعض شواب النساء ومن لها منهن جمال ، ثم قتلوهن ."[3] ، وفي سنة (442 هـ / 1032م) " إحتشدت جماعات من الشيعة وساروا إلى أعمال نفطة من بلاد الجريد و إستولوا على بعض بلادها و إستقروا هناك ولكنه ما كاد الخبر يصل مسامع المعز بن باديس حتى وجه إليهم العساكر ."[4]، وحسب المصادر فقد قتل الشيعة في جميع أنحاء إفريقية من ذلك أن التيجاني عند حديثه عن الفقيه " أبي الحسن على بن محمد بن النمر" ، قال " وهو أول من أظهر السنة بطرابلس لما كانت في إفريقية الوقعة المعروفة بوقعة المشارقة سنة سبع وأربعمائة قتل فيها الشيعة وأتباعهم وعلى يد الفقيه أبي الحسن كان قتل من قتل بطرابلس منهم وأول من قطع من الآذان ، حي على العمل وأذن في ذلك اليوم آذان أهل السنة بنفسه وأول من أقام الناس بطرابلس صلاة القيام ."[5] ففي (7 محرم 442 هـ /

[1] : إدريس هادي " روجي" ، المرجع السابق ، ج: 1 ، ص ، ص: 181 ، 182 .

[2] : المراكشي " إبن عذاري " ، المصدر السابق ، ج: 1 ، ص ، ص: 286 ، 269 .

[3] : إدريس " روجي هادي" ، المرجع السابق ، ج: 1 ، ص: 186 .

[4] : سعد عبد الحميد " زغلول " ، المرجع السابق ، ص: 378 .

[5] : التيجاني " أبو محمد عبد " ، رحلة التيجاني ، تقديم : حسن حسني عبد الوهاب ، دار العربية للكتاب ، تونس ، 1981 ، ص ، ص: 265 ، 266 .

1 جوان 1050م) قلد يازوري وزارة الفاطميين في مصر، كما إحتفظ بما يتمتع من ألقاب وصلاحيات بوصفه " قاضي القضاة وداعي الدعاة " وبرغم حصول القطيعة من حوالي سنتين إلا أن صاحب إفريقية ضل يستمر في كتابة الرسائل لدوائر الرسمية الفاطمية و قد كان يمثله نائب بمثابة القائم بأعماله ، وبما أن اليازوري كان من أصل متواضع ، فقد أمسك الولاة حسب إبن خلدون عن مخاطبته في رسائلهم بعنوان "مولاي" ، فعظم ذلك عليه وعاتب " ثمل بن صالح" صاحب حلب والمعز بن باديس الصنهاجي" الذين كانا يكرهانه." كما إستدعى اليازوري نائب الأمير الزيري بالقاهرة بأن يبدأ كالعادة بإسم الوزير الفاطمي في عناوين الكتب[1] بإضافة إلى أنه " قصر عليه في المكاتبة به ممن تقدمهُ من الوزراء ، فكان يكاتب كلاً منهم بعبده فجعل يكاتبه بصنيعته ."[2] كما عمد اليازوري إلى إرهاب الأمير الزيري " بأن توصل إلى أخذ سكينة من دواته ثم إستدعى نائبه ليقول له ، قد تلطفنا في أخذ السكين ، ولو شئنا لتلطفنا في ذبحه بها ." وسلمها إليه كي يرسلها بدوره بخطاب إلى الأمير زيري ، فلم يرتدع المعز بن باديس بل أطلق لسانه في الوزير فكان أن عاود الوزير الفاطمي سياسة اليد الطويلة بأن " دس إليه من أخذ نعله وإستدعى نائبه وكلفه بأن يكتب إلى هذا البربري الأحمق وقل له : إن عقلت وأحسنت أدبك وإلا جعلنا تأديبك بهذه ."[3]

---

[1] : إدريس هادي " روجي" ، المرجع السابق ، ج: 1 ، ص: 238 .

[2] : إبن الصيرفي " أبي القاسم علي " ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، تح: عبد الله مخلص ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي ، القاهرة ، 1923 ، ص: 31 .

[3] : نفسه ، ص: 32 .

وأرسل المستنصر الفاطمي إلى المعز بن باديس يدعوه إلى العودة إلى حظيرة المذهب الإسماعيلي ، فقال: " هل إقتفيت آثار من سلف من آبائك في الطاعة والولاء ." ويتوعده بإرسال الجيوش غير أن المعز كتب إليه يقول " إن أبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب ، قبل أن تملكه أسلافك ، ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم ولو أخروهم لتقدموا بأسيافهم ".[1] .

و منه نستنتج أن الحماديين كانوا أول المبادرين في التحول المذهبي بالمغرب الأوسط و ذلك بإعلان حماد بن بلكين عن تبنيه للمذهب السني ثم إعلان المعز بن باديس الزيري عن تبنيه كذلك للمذهب السني المالكي و قد مثل ذلك نهاية الهيمنة الشيعية على الحياة السياسية و المذهبية لبلاد المغرب كما مثل ذلك إنتصارًا حقيقيًا طموحات الفقهاء المالكية و الرعية في عودة حكامهم الصنهاجيين إلى أحضان أهل السنة .

[1] : Lacy A' Leary . d.d : a short history of the Fatimid kalifate , kegan Paul , London , p : 200 .

الفصل الثالث : أثر التحول على المغرب الأوسط .

- **أولاً** : الأثر السياسي ، ص...ص: 31...43 .

- **ثانياً** : الأثر الإقتصادي و المالي ، ص...ص: 44..47 .

- **ثالثاً** : الأثر الإجتماعي و الثقافي ، ص...ص: 48...53 .

بعد تبني الحماديين للمذهب السني حذا الزيرين حذوهم و ذلك بعد صراع مرير بين الفرع الصنهاجي نفسه ، و بعد فشل مساعي الفاطميين في إقناع الصنهاجيين للعودة إلى أحضان مذهبهم و سلطتهم لجئوا إلى قبائل بني هلال و بني سليم لثأر منهم .

أولاً . الأثر السياسي :

1 - ردة فعل الزيريين المعادية لهذا التحول وأثرها على بلاد المغرب الأوسط :

لما إتضح لباديس موقف عمه حماد العدائي تجاه دولته والخلافة الفاطمية[1] قام باديس في الثاني من عيد الأضحى (11 الحجة 405 هـ / 2 جوان 1015م) بتوجيه حملة عسكرية إلى المغرب الأوسط ورحل حماد وأخوه إبراهيم إلى هشام بن جعفر الذي أرسله باديس والعسكر الذين معه ، فكان بينهم حرب إنهزم إبن جعفر ولجأ إلى باجة وغنم حماد ماله وعدده " ، فرحل باديس إلى مكان يقال له " قبر الشهيد " حيث إستقبل في محرم من سنة (406 هـ / 1015م) جمعًا كثيرًا من جنود عمه حماد ، أتوه " لتقديم شواهد الطاعة ." ، فوصل حماد إلى باجة حيث طلب أهلها الأمان ، " فأمنهم وإطمأنوا إلى عهده ، فدخلها يقتل وينهب ويحرق و يأخذ الأموال." ويبدو أن هذه التصرفات قد تسببت في إنضمام عدد كبير من أنصار حماد إلى باديس[2] ، وفي أوائل شهر صفر(406 هـ / 1015م) وصل باديس إلى تادميت*كما قدم إليها حماد على رأس ثلاثين ألف فارس ، بقطع النظر عن المشاة والجنود الذين إنظموا إلى باديس ولم تعد تفصله عن المدينة سوى مرحلة واحدة فقط

---

[1] : حسن أحمد " خضيري" ، المرجع السابق ، ص: 77 .

[2] : إدريس هادي " روجي" ، المرجع السابق ، ج: 1 ، ص: 147 .

* **تادميت:** مدينة صغيرة تسمى مرجمانة وهي لأهلها و للعرب عليها ضريبة ويصيبون من القمح والشعير ما يعم بالكفاف والزيادة ، **ينظر:** الإدريسي " أبي عبد محمد " ، المصدر السابق ، ص: 292 .

وحسب إبن خلدون إنفصل عن حماد بنو أبي واليل الزناتيون أصحاب مدينة مقرة* وبنو حسن الصنهاجيون وبنو يطوفت وبنو غمرت الزناتيون وكل أنصاره تقريبًا ، كما تسلم رئيس قبيلة بني غمرت الذي إنظم إلى باديس هدايا ثمينة وعددًا من الدواب لتوزيعها على الرجال الذين إلتحقوا به وتحصل على ولاية طبنة وأعمالها[1] ، ورحل باديس من تادميت متوجهًا إلى دكمة[2] وهناك إلتحق به عدد كبير من حلفاء بلكين[3] **كما تلقى خطابًا من عامل أشير**** " خلف الحِميري" **الذي كان أشد أنصار** حماد بن بلكين تحمسًا وكان يحبه ، فأصبح يخبر باديس أنه صار في طاعته وأنه قد منع حماد من دخول مدينة أشير لتحصن فيها فوهنت عزيمة حماد الذي كان يعلق آملاً عريضة على مناعة ذلك الحصن الحصين وتحول إلى تيهرت ، ثم إتجه باديس إلى القلعة ولكنه رجع إلى المسيلة و سير إلى المدينة التي أحدثها حماد جيشا كبيرًا بقيادة أخيه " **كرامة** " الذي خرب قصورها ودورها جزاء ما إقترفه حماد وأخوه إبراهيم من أعمال وذلك دون نهب أو سفك دماء ، فقام إبراهيم الذي تحصن لا محالة في قسم من القلعة بهدم القصور الموجودة خارج المدينة ، وذكر إبن الأثير في قوله " وهرب إلى باديس جماعة كثيرة من جند القلعة ، فأخذ إبراهيم أبنائهم وذبحهم على صدور أمهاتهم ولما فرغ من الأطفال قتل الأمهات ."[4] **وحسب إبن خلدون إستولى** باديس على أشير وقد فَر منها إبراهيم أخو حماد ثم أخذ في مطاردة حماد و أثناء توقفه

---

* **مقره:** هي مدينة بالمغرب في بر البربر قريبة من القلعة بني حماد بينهما وبين طبنة ثمانية فراسخ ، **ينظر:** ياقوت **الحموي** " شهاب الدين " ، **المصدر السابق** ، ج: 5 ، ص: 175 .

[1] : **إبن خلدون " عبد الرحمن"** ، ديوان المبتدأ أو الخبر....، **المصدر السابق** ، ج: 6 ، ص: 228 .

[2] : إدريس هادي " **روجي**" ، **المرجع السابق** ، ج: 1 ، ص: 148 .

[3] : رشيد " بورويبة " ، **المرجع السابق** ، ص: 23 .

** **أشير:** مدينة في جبال البربر ، كان أول من عمرها زيري بن مناد الصنهاجي فجاءه البنائين من مدن التي حوله المسيلة وطبنة وغيرهما وشرع في إنشاء مدينة أشير وذلك سنة 324 هـ فتمت على أحسن حال ، وعمل على جبالها حصنًا منيعًا ليس إلى المتحصن به طريق إلا من جهة واحدة تحميه عشرة رجال ، وتملكها بعده بنو حماد وهم بنو عم باديس ، **ينظر:** ياقوت الحموي " شهاب الدين " ، **المصدر السابق** ، ج: 1 ، ص ، ص: 202، 203 .

[4] : إدريس " روجي هادي" ، **المرجع السابق** ، ج: 1 ، ص ، ص: 148 ، 149 .

بوادي الطين إستسلمت قبيلة زناتية كبيرة وهي قبيلة بني توجين ذلك أن أميرها " عطية بن دافلتن" قد حرص على أخذ ثأر والده الذي قتله حماد بن بلكين و إقتفى على أثره إبن عمه " لقمان بن المعتز" ، فكافأ باديس هذين القائدين وواصل سيره فعبر نهر الشلف* ونزل بضفة من ضفتي نهر" واصل" رافد نهر الشلف بينما كان حماد على الضفة الأخرى[1] . وفي صباح الغد عبر باديس بجيشه وهجم فجأة على حماد فكانت المعركة شديدة و إنتهت بإنتصار باديس ، وكان سبب نجاته إشتغال عساكر باديس بجمع الغنائم الكثيرة والأموال والأثقال ، وبعد معركة وادي شلف توجه حماد نحو قلعة مغيلة التي تقع شمال تيهرت أما باديس توجه لحصار القلعة و التي دام حصارها ستة أشهر إلا أنه لما توفي باديس رفع الجيش الزيري الحصار ورحل إلى إفريقية وبعد ذلك سار حماد بن بلكين إلى أشير[2] .

إستهل المعز بن باديس بتنظيم حملة عسكرية ضد حماد وكان هذا الأخير قد فتح أشير وذكر النويري " أن إبراهيم أخا حماد وصل إلى باب باغاية و إستدعي أيوب بن يطوفت والي المدينة ليتحدث معه ، فلبى دعوته ، فقال له : نحن كلنا تحت طاعة أميرنا المعز بن باديس ونريد أن نتصالح بواسطتك و أن حمادًا يسلم عليك ويطاب منك أن تبعث له رسولا أمينا ، فدعا أيوب أخاه حمامة وغلامه يسورين وحبوس بن القاسم بن حمامة وبعثهم إلى حماد ، وعند وصولهم ، أمر حماد بقتل يسورين وتقيد الآخرين ، فلما ورد هذا الخبر إلى المعز هجم على حماد." وعلى قول إبن الأثير" فلما كان إلا ساعة حتى إنهزم حماد وأصحابه ووضع أصحاب المعز بهم السيف وغنموا ما لهم من عدد ومال وغير ذلك. " وأضاف إبن الأثير " أن المعز نادى من أتي برأس فله أربعة دنانير، فأتي بشيء كبير. " وأثناء المعركة أسر إبراهيم أخو حماد ، وأما حماد فقد نجا ولكنه أصابته جراح و تفرق عنه أصحابه ، وعند وصوله إلى القلعة أرسل رسولاً إلى المعز ، فقال هذا الأخير للمعز: أن حمادًا يعتذر ويقر بالخطيئة ويسأل العفو فأجابه المعز: إن كان حماد على ما قلته فليرسل

---

* الشلف: مدينة ذات صور وحصن ونهر وشجر ومزراع ، ينظر : إبن حوقل " أبي القاسم" ، المصدر السابق ، ص: 89 .

[1] : رشيد " بورويبة " ، المرجع السابق ، ص: 24 .

[2] : نفسه ، ص ، ص: 28 ، 29 .

لي إبنه القائد ." فعاد جواب حماد أنه إذا وصله كتاب أخيه إبراهيم بالعلامات التي بينهم أنه قد أخذ له عهد المعز بعث ولده القائد ، فحضر إبراهيم وأخذ العهود على المعز و أرسل إليه يعرفه بذلك ويشكر المعز على ذلك إليه . " ثم رجع المعز إلى المنصورية ، فأطلق إبراهيم و أهدى له خلعًا ومالاً ودواب ، فلما وردت هذه الأخبار إلى حماد ، بعث بإبنه القائد فوصل هذا الأخير إلى المعز الذي أحسن ضيافته[1] .

وعلى قول إبن أبي دينار " أجرى على القائد في إقامته كل يوم ثلاثة آلاف درهم وخمسة وعشرين قفيزًا شعيرًا لدوابه ودواب أصحابه وخلع على أصحابه مائة خلعة و إعطائه ثلاثين فرسًا بسروج الذهب ومن الثياب المثقلات ما لا يدخل تحت حصر." و بعد المفاوضات التي جرت بين المعز بن باديس وحماد بن بلكين إستقل هذا الأخير بالمغرب الأوسط[2] وعزز حماد والمعز الصلح المبرم بينهما بالمصاهرة ففي رجب (415 هـ / 1024م) زوج المعز أخته " أم العلو " لإبن عمه " عبد بن حماد "[3] .

2 - الهجرة الهلالية :

ينحدر بنو هلال من بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس عيلان و أبناء عمومتهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس عيلان ، فكلهم من بني مضر[4] ولكنهم كانوا يختلفون في طبيعتهم و أخلاقهم عن أجدادهم هوازن بن منصور بن قيس عيلان بن مضر الذين كانوا أعظم قبائل العرب وأقواها وأبعدها أثرًا في الفتوحات الإسلامية أيام الخلفاء الراشدين ثم الأمويين ، وبنو هلال و بنو سليم يدخلون فيمن يسميهم إبن خلدون " بعرب الجيل الرابع أو العرب المستعجمة الذين فقدوا خلق العرب الأوليين ولم يعد لهم من القوة والقدرة وسلامة العنصر،

---

(1) : رشيد " بورويبة " المرجع السابق ، ص ، ص: 32 ، 33 .

(2) : نفسه ، ص ، ص: 33 ، 34 .

(3) : إدرس هادي " روجي" ، الرجع السابق ، ج: 1 ، ص: 193 .

(4) : إبن حزم " أبي محمد علي " ، جمهرة أنساب العرب ، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، ط: 5 ، القاهرة ، ص...ص: 261...273 . البتي " أبو جعفر أحمد " ، تذكرة الألباب بأصول الأنساب ، تح: محمد مهدي ، تقديم: هارون أحمد العطاس ، المواهب لطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2001 ، ص: 96 .

ما يمكنهم من منافسة المتغلبين على الدولة العباسية من الفرس كالبويهيين والترك والغز والسلاجقة ولهذا فقد إنسحبت بقاياهم إلى شبه الجزيرة ووسطها ، وهناك عاشوا على الهامش مناطق الحضر و إستقروا دون أن يؤذن لهم في دخولها و سكناها ، وقست عليهم الدول فانحصروا في صحرائهم ، وهناك إشتد بهم الفقر فإعتمدوا في معاشهم على الغارات يشنونها على الحجاز و أطراف الشام و العراق ، و بلغ من شدة عوزهم أنهم كانوا يهاجمون قوافل الحج و ينهبونها حتى ساءت سمعتهم وهبط قدرهم . " و أصبحوا كما يقول عبد الرحمن بن خلدون " خولاً و أتباعًا للدول وشرًا و بلاءًا على الحضر ، كما فقدوا فصاحة العرب وسلامة اللغة . "[1] كما ذكر إبن خلدون مواطنهم في قوله " كانت بطون هلال وسليم من مضر لم يزالون بادين منذ الدولة العباسية و كانوا أحياء ناجعة محلاتهم من بعد الحجاز بنجد ، فبنو سليم ما يلي المدينة ، وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف وربما يطوفون في رحلة الصيف و الشتاء أطراف العراق والشام ، فيغيرون على الضواحي ويفسدون السابلة."[2] وكان بنو هلال و بنو سليم مقيمين في نجد أما بنو هلال فكنوا يملكون عدة بقاع : مثل (دبلة ، بريق ، دومي ، الكريخة ، غروش ، مران ، سريحة ، و ذريحة ، وعكاظ) ولهم عدة أودية مثل (وادي التربة ، وادي جيدان ، وادي عنية) وجبل مثل (جبل بيش ، والكفاء) ونقط ماء مثل (البرادان) ولهم قرى ذات وزن مثل (قرية بيشة) ومما يذكر أن تلك القبائل الهلالية كانت في أغلبها قبائل بدوية ضاغنة تمتد منطقة تنقلاتها ما بين البصرة ومكة من ناحية وما بين المدينة من ناحية أخرى ، أما بنو سليم فكانوا يسكنون قرب خيبر في أماكن تسمى الحرة مثل (حرة بني سليم) و (حرة النار) تقع معظمها في الحجاز وكانوا يملكون معادنًا و جبالاً مثل (الإثم) و (عدون) ونقط ماء مثل (أثل) و واحات (كالربذة) و (فران) و (معادن البرم) و (صفينة) و (السواقية) ، وعند ظهور الإسلام أظهر كل من بني هلال وبني سليم شيئًا من العداوة تجاه العقيدة الجديدة ، وقد أدى بهم ذلك إلى حد مقاومة المسلمين والإسهام المباشر في المعارك التي خاضها أعداء الإسلام ضد النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه وأحسن دليل على ما

---

(1) : حسين " مؤنس" ، المرجع السابق ، ص: 166 .

(2) : إبن خلدون " عبد الرحمن " ، ديوان المبتدأ أو الخبر...، المصدر السابق ، ج: 6 ، ص: 18 .

ذكره الطبري أنه في شوال من سنة (3 هـ / 625م) غزا الرسول صلى الله عليه وسلم كل من بني سليم وغطفان ، وفي معركة حنين إنتصر أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم على التحالف الذي ضم قبائل بينها هوازن ، ثقيف ، جشم ، نصر ، سعد بن بكر ، بني هلال ، إلا أن بني سليم شاركت في عملية الفتوحات[1] إلا أنه في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ظهرت حركة التمرد التي قامت بها القبائل العربية ومنها بني هلال حيث رفضت تسديد عشور الزكاة[2] و مهما يكن من الأمر فإن قبائل بني هلال وسليم قد فقدت في عصر الخلافة الراشدة المكانة التي كانت تتمتع بها سابقًا ، و دليل على ذلك قلة الأخبار الواردة عنها في هذه الفترة[3] ، ولما إطلقت الحركة القرامطة في الشرق شبه الجزيرة العربية و هي عبارة عن حركة دينية ذات طابع شعبي إسماعيلي تنادي بوجود إمام علوي ، حيث بدأت هذه الحركة بإنتفاضة حمدان قرمط*في جهة واسط ، و منذ ذلك الوقت إنتشرت بصفة تدريجية خاصة بعد موت الخليفة العباسي " المعتمد "سنة 228 هـ فقد إستقطبت في الشام والعراق عناصر قبلية نذكر من بينها بني هلال[4] ولم يكن لهؤلاء البدو من غرض إلا الرغبة في العصيان والخروج على نظام الخلافة في الدولة العباسية والفاطمية[5] ثم إن الحالة السياسية في العالم الإسلامي آنذاك تغيرت تغيرًا جذريًا بعد إنتقال الفاطميين من إفريقية إلى مصر ، إذ أن الفاطميين سرعان ما غيروا موقفهم إزاء الحركة القرامطة و أنصارهم أي الأعراب وخاصة في عهد " العزيز" الفاطمي (365 - 385 هـ /975 - 996 م) الذي إغتنم فرصة تلاشيهم لينزع منهم المدن و المواضع التي كانوا متغلبين عليها في

---

(1) : راضي " دغفوس " ، دراسات في تاريخ العربي الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، ط: 1 ، بيروت ، ص...ص: 35...40 .

(2) : عبد الحميد " بوسماحة " ، رحلة بني هلال وخصائصها التاريخية و الإجتماعية و الإقتصادية ، دار السيل للنشر والتوزيع ، ، ج: 1 ، الجزائر ، 2008 ، ص: 67 .

(3) : راضي " دغفوس " ، المرجع السابق ، ص: 40 .

* حمدان قرمط: إن قرمط رجل كان بسواد الكوفة يحمل غلة السواد على أثوار له و إسمه حمدان ، ينظر: إبن الأثير " محمد بن محمد الشيباني " ، المصدر السابق ، ج: 6 ، ص: 365 .

(4) : راضي " دغفوس" ، المرجع السابق ، ج: 1 ، ص: 40 .

(5) : عبد الحميد " بوسماحة " ، المرجع السابق ، ج: 1 ، ص: 68 .

الشام و العراق[1] ، فقام هذا الخليفة الفاطمي بنقل بني هلال وسليم إلى الصعيد مصر و كانت الغاية من هذا العمل تتمثل في التقرب إليهم لأن الفاطميين كانوا يعتزون بالإنتساب إلى قريش و يسعون في سبيل الإستعانة بالعناصر العربية في حروبهم و تدعيم قوتهم و إستغلال العصبية فيهم ، وفرضوا عليهم نوعًا من الإقامة الجبرية[2] و اكتظت الصحراء الشرقية في مصر بهم و لم يبق لهم العدد الكبير في الحجاز أو الشام أو البحرين ، وإشترط " العزيز" الفاطمي عليهم أن لا يعبروا إلى الضفة الغربية عبر النيل ، وكان هدفه من ذلك الحيلولة بينهم و بين الإنضمام إلى أعداء الفاطميين في المغرب ، و في الصعيد آذوا هؤلاء البدو الفلاحين إيذاءًا شديدًا ، أما بني سليم فقد إندمج الكثير منهم في الكتلة السكان في الصعيد ، و أما بنو هلال فقد ضلوا بدوًا وكان من أكبر قبائلهم (جشم ، الأثبج ، زغبة ، رياح ، ربيعة ، عدي ، الزواودة) ولم يفقدوا تمامًا طباعهم البدوية الهائجة[3] وفي عهد الخليفة "المستنصر" الفاطمي وقعت حروب بين هذه القبائل مع بعضها البعض " وعم ضررهم و أحرق البلاد و الدولة شرورهم ."[4] و أصبحوا مشكلة كبيرة للحكم الفاطمي في مصر ، وكان المعز بن باديس أعلن ولائه للمذهب السني و القطيعة عن المذهب الشيعي الإسماعيلي - كماسلف ذكره - وقد فكر الوزير اليازوري في إستخدام حشود بني هلال[5] هلال[5] وينسب إليه هذا الخطاب ، قال فيه "سواء نجحت المحاولة أم لم تنجح ، فإن الخليفة سيتخلص من تلك العناصر التي قد تعترف له بجميل إذا نجحت العملية ، و إن لم تنجح ، فإن التعامل مع الأعراب في إفريقية أفضل من التعامل مع الدولة الصنهاجية . " ، وقد وافق الخليفة بكل حماس على هذه الفكرة[6] كما ينسب إبن خلدون الحديث التالي للوزير اليازوري " فإن صدقت المخيلة في ظفرهم بالمعز وصنهاجة ، كانوا أولياء للدعوة

---

[1] : راضي " دغفوس " ، المرجع السابق ، ص: 52 .

[2] : عبد الحميد " بوسماحة " ، المرجع السابق ، ص: 69.

[3] : حسين " مؤنس " ، المرجع السابق ، ص: 167 .

[4] : إبن خلدون " عبد الرحمن " ، ديوان المبتدأ أو الخبر...، المصدر السابق ، ج: 6 ، ص: 18 .

[5] : Ernest Marçais : berbérie de puis les temps les plus reculés jusqu' a la conquête française (1830) , Ernest Leroux Editeur , Tome : 2 , paris , p : 16 .

[6] : إدريس هادي " روجي" ، المرجع السابق ، ج: 1 ، ص، ص: 247 ، 248 .

وعمالًا بتلك القاصية ، وإرتفع عدوانهم من ساحة الخلافة ، و أمر العرب أسهل من أمر صنهاجة الملوك ."[1] وحسب ما رواه إبن خلدون وجه الخليفة الفاطمي وزيره إلى بني هلال في سنة (441 هـ / 1049م) إلا أن اليازوري لم يتحول بنفسه إلى الصعيد ، فبعدما أغدق العطايا على رؤساء زغبة و رياح ، وجه إليهم المسمى مكين الدولة " إبن مُلْهِمْ " و تقبل الأمراء الهلاليين بكل سرور العطايا التي غمرتهم رغم قيمتها الزهيدة فقد تسلم كل من وافق على إجتياز النيل من بني هلال (فروًا وجملًا و دينارًا) ، وقال لهم اليازوري " أعطيتكم المغرب وما يملكه المعز بن باديس الصنهاجي العبد الآبق ." وكان اليازوري قد وجه رسالة إلى المعز فيها الوعيد والتهديد قال فيها " إن لم ترجع عن رأيك ، أتتك الجيوش موصلة سنابك خيلك ، ناسخة بنقعها و ميضها حكم النهار وليلها ."[2] ثم وجه إليه رسالة أخيرة ، هذا نصها " أما بعد فقد أرسلت إليك خيلًا و حملنا عليها رجالاً كهولاً ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ."[3] ، وهكذا إنتقل بنو هلال بجموعهم إلى المغرب و إتجهوا إلى برقة سنة (443 هـ / 1051م) فوجدوها خالية من سكانها بسبب الحروب مع زناتة و بني زيري ، فإستقر فيها نفر من بني سليم و إنطلقت جموع بني هلال إلى طرابلس و إفريقية ، فإستقروا في طرابلس دون أي مقاومة و أرسلوا إلى بني عمومتهم في الصعيد يستدعونهم ، فلحقت بهم جماعات أخرى من بني هلال و بني سليم وتولى قيادة الجميع " مؤنس بن يحيى الرياحي " ، و ساروا في جموعهم إلى إفريقية[4] " كالجراد المنتشر ، لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه ."[5] ، و ما لبث المعز بن باديس الصنهاجي أن حشد ثلاثين ألف من قواته ، حيث إستنجد بإبن عمه " قائد بن حماد " صاحب القلعة الذي أمده بألف فارس ، " كما إستصرخ زناتة . " فأقبل إليه " المستنصر بن خزرون " بألف فارس من زناتة و إنظم إليه بقايا العرب البلديين وهم عرب الفتح ولكن هؤلاء تخلوا عنه و إنظموا إلى بني جلدتهم

[1] : جورج " مارسيه " ، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، تر: مصطفى أبو ضيف أحمد ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ص: 222 .

[2] : إدريس هادي " روجي" ، المرجع السابق ، ج: 1 ، ص ، ص: 248 ، 249 .

[3] : عصام الدين " عبد الرءوف " ، تاريخ المغرب و الأندلس ، مكتبة نهضة شرق ، القاهرة ، 1990 ، ص: 176 .

[4] : حسين " مؤنس " ، المرجع السابق ، ص: 169 .

[5] : إبن خلدون " عبد الرحمن " ، ديوان المبتدأ أو الخبر...، المصدر السابق ، ج: 6 ، ص: 20 .

الهلالية عند مكان يسمى " الحيدران " ، وإنتهت المعركة بإنتصار الهلاليين الذين قضوا على جيش المعز تمامًا[1] فتراجع المعز وتحصن في القيروان و أقبل العرب يحاصرونه فيها ، وعبثًا حاول المعز أن يصدهم لكن دون جدوى بل ذهب إلى حد أن صاهر ثلاثة من أمراء العرب الهلالية لكن دون جدوى ، إستنفذت المعارك التي قام بها المعز بن باديس ضد العرب الهلالية ما لديه من مال وعتاد وفرغت خزائنه و خسر معظم أجزاء دولته وضاق به الحال ثم إنتقل من القيروان إلى المهدية ، و إستولت العرب الهلالية على حرمه و داره و غلمانه ، وقتلوا من الرجال و سبوا من النساء و عاثوا في القيروان فسادًا و تخريبًا ، و بعث العرب الدعوة الإسماعيلية بعد أن قطعت من على المنابر ، فضلًا عن عودة التعامل بالسكة المستنصرية الفاطمية[2] ، و ذكر إبن بسام " فلما كان عام سنة و أربعين صرف المعز خطبته إلى صاحب مصر ، ونبذ العباسية ."[3] أما في المغرب الأوسط فقد ذكر إبن خلدون " أن المعز بعث بالصريخ إلى إبن عمه صاحب القلعة القائد بن حماد ، فكتبه كتيبة من ألف فارس ."[4] وبعد هزيمة المعز بن باديس أمام العرب الهلالية أعلن أهل تونس البيعة للأمير الحمادي بالقلعة و طلبوا منه حاكمًا للمدينة ، فبعث بإبن خرسان وهو قائد من أهل الصنهاجة[5] كما إستفاد الحماديون من الأوضاع المواتية ، فعندما إنفصل المعز بن باديس عن الخلافة الفاطمية و إجتاحت القبائل الهلالية ملكه في إفريقية إضطر " القائد بن حماد " إلى الإعتراف بسيادة الفاطمية ، فلقبوه "شرف الدولة " وهو اللقب الذي كان يحمله المعز بن باديس قبل ذلك ، و مما لا شك فيه أن إختياره ذلك اللقب قد وضع قصدًا ، إن هذه الطاعة للفاطميين التي أعلنها القائد بن حماد لم تكن بنية خالصة و إنهما هي مداراة سياسية فرضتها الظروف للمحافظة على دولة بني حماد و مقدراتها ، مما يبرهن على مدى حنكة و سياسة بني حماد ، فكانت هذه الطاعة تمثل حلقة في لعبة التوازن و تغيير المعسكرات طبقًا لتغيير الخصوم و الإستفادة من وضع خسره أبناء عمومتهم بني زيري ، فضلاً عن تجنب

---

[1] : حسين " مؤنس " ، المرجع السابق ، ص: 171 .

[2] : حسن أحمد " خضيري" ، المرجع السابق ، ص ، ص: 69 ، 70 .

[3] : إبن بسام " أبو الحسن علي " ، المصدر السابق ، ج: 4 ، ص: 89 .

[4] : رشيد " بورويبة " ، المرجع السابق ، ص: 50 .

[5] : جورج " مارسيه " ، المرجع السابق ، ص ، ص: 226 ، 227 .

عقاب محتمل وقوعه على يد بني هلال ، و أصبح التعامل في الدولة الحمادية بالسكة المستنصرية الفاطمية[1] و عرفت القلعة إزدهارًا إقتصاديًا و ذلك بسبب هروب أهل القيروان و المدن الزيرية المنهارة إلى قلعة بني حماد ، مما جعل الأغنياء و التجار الكبار يفرون إلى عاصمة الدولة الحمادية خوفًا من الجحيم الهلالي[2] .

لم يستطع الأعراب الهلاليين و الزناتيين التعايش في بداية الأمر في إفريقية ، فقد أجلى الزناتيين في جنوب المغرب الأوسط ، أمثال " بني غمرت " الذين أجبروا على الإقامة في بعض القرى الواقعة جنوب المسيلة ، وبعد ذلك ثارت ضد الهلاليين مجموعة من القبائل الزناتية المتحالفة هي مجموعة " بني ياسين " بإيعاز من " يعلى " بتلمسان*[3] و قد عين أمير تلمسان ، و هو من أحد أحفاد " محمد بن خزر** " وزيره " أباسعدة خليفة اليفريني " المشهور في سيرة بني هلال بإسم " خليفة الزناتي " على رأس مجموعة كبيرة من بني ياسين الذين خاضوا معارك طاحنة طوال سنين عديدة ضد الهلالين في منطقة الزاب و سهول التل[4] ، و تبين هذه الأبيات من الشعر التي أنشدتها " الجازية*** " من الوقائع الحروب التي درات بين الهلالية و خليفة الزناتي ، حيث يتجلى ذلك من خلال قولها :

ألا يا عذاري شدوا الخيل و إركبوا * على السوابق أصلات فوايد

---

[1] : حسن أحمد " خضري " ، المرجع السابق ، ص ، ص: 78 ، 79 .

[2] : جورج " مارسيه " ، المرجع السابق ، ص: 228 .

* تلمسان : هي مدينة أزلية ولها من الأنهار و أرحية عليها و الفواكه و لها سور من آجر حصين منيع و زرعها سقي و غلاتها عظيمة ، ينظر : إبن حوقل " أبي القاسم " ، المصدر السابق ، ص: 78 .

[3] : إدريس هادي " روجي " ، المرجع السابق ، ج: 1 ، ص: 288 .

** محمد بن خزر المغراوي: هو الثائر من قبيلة مغراوة ضد الفاطميين في المغرب الأوسط ، هاجم تيهرت سنوات (297 هـ /908 م) و (299 هـ / 913م) ، و بعد حملة جوهر الصقلي على المغرب الأوسط ، منح المعز الفاطمي الأمان لمحمد بن خزر ، ينظر: فاطمة " بالهواري " ، معارضة محمد بن خزر المغراوي للوجود الفاطمي في بلاد المغرب الأوسط ، مجلة عصور ، العدد: 3 ، وهران ، 2003 ، ص...ص:115...120 .

[4] : إدريس هادي " روجي " ، المرجع السابق ، ج: 1 ، ص: 289 .

*** الجازية : هي إمرأة من بني هلال ذكرت في الملحمة الهلالية و ذكر بأنها كانت جميلة وشاعرة و مضت مع بني هلال نحو بلاد المغرب ، ينظر : حسين " مؤنس " ، المرجع السابق ، ص : 169 .

ونلبس خوذهم و الدروع وخيلهم * ونحن نحارب في اللقا و الطارد

ونقتل الزناتي خليفة وقومه * و يبقى لنا التذاكر بين الأماجد[1]

إلا أن مصرع أبي سعدة أثناء المعركة مع بني هلال قد أفضى إلى إنفصام التحالف الزناتي و تشتت عناصره في جميع أنحاء منطقة التل ، وأصبح جبل راشد و ميزاب يمثلان الحد الفاصل بين الزناتيين الرحل و أعراب بني هلال الرحل[2] ، تقدم الهلالين و أحلافهم نحو المغرب الأوسط من ثلاث جهات ، الأولى من جهة الساحل حيث تقطن كتامة ، فقدموا إليها من نواحي باجة و إنتشروا في ضواحي بونة ثم قسنطينة ، و لم تكن أية ردة فعل أو دفاع من كتامة فإما أن يكون الفاطميين كتبوا إليها بتأييدهم للعرب الهلالية و إما تكون كتامة تقربت من العرب الهلالية نكاية في صنهاجة التي كانت قد شتت جمعها ، و أما الجهة الثانية نحو أحواز الدولة الحمادية حيث تقدموا إليها من نواحي الأربس ، وكانت الجهة الثالثة من الصحراء حيث تكثر خيام زناتة الخاضعة لبني حماد فتقدموا إليها من ناحية سبيبة إلى تبسة و إنتشروا في جنوب الأوراس و على قرى الزاب[3] كما دفعت الهجرة الهلالية بالقبائل الزناتية بالهجرة من المغرب الأوسط نحو المغرب الأقصى[4] أما بنو حماد الذين عجزوا عن التصدي لبني هلال ، فقد إضطروا إلى التفاهم معهم عن طريق التحالف مع " الأثبج " والتنازل عن البوادي لفائدتهم و ذلك بوصول الأثبج و عدي الهلاليين إلى المغرب الأوسط[5] ففي سنة (449 هـ / 1058م) " خرج بلكين بن محمد الحمادي و معه الأثبج و عدي لحرب زناتة ، فكسرها و قتل منها عددًا كبيرًا ."[6] ، و كان فيما سبق عندما

---

[1] : عبد الحميد " بوسماحة " ، المرجع السابق ، ص: 43 .

[2] : إدريس هادي " روجي " ، المرجع السابق ، ج: 1 ، ص: 289 .

[3] : مبارك بن محمد " الميلي " ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، تقديم وتصحيح : محمد الميلي ، ج: 2 ، المؤسسة الوطنية للكاتب ، الجزائر ، ص ، ص: 182 ، 183 .

[4] : نجيب " زبيب " ، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الأندلس ، ج: 2 ، دار الأمير ، ط: 1 ، بيروت ، 1995 ، ص: 218 .

[5] : إدريس هادي " روجي " ، المرجع السابق ، ج: 1 ، ص: 289 .

[6] : المراكشي " إبن عذاري " ، المصدر السابق ، ج: 1 ، ص: 294 .

عندما خضع المعز بن باديس من جديد للفاطميين إضطر ممثل الخليفة العباسي " أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدريمي " إلى مغادرة القيروان ثم لجأ إلى سوسة ، " فلم يحسن إلى أهلها ، فسار إلى القلعة بني حماد و شارك في عدة غزوات بجانب بلكين بن محمد الأمير الحمادي . "[1] وفي سنة (457 هـ / 1064م) أقام الناصر حلفًا عتيدًا يجمع بين البربر والعرب ، ويبدو أن الأثبج هم الذين حرضوه على ذلك إذ كانوا يرغبون في بذل مجهود لمقاومة نفوذ بني رياح ، فإستعان شيوخ الأثبج بالناصر الحمادي ضد بني رياح ، و قد لبى الناصر طلبهم لاسيما و أن بني رياح كانوا موالين لبني زيري وتم اللقاء بين المتحاربين (457 هـ / 1065م) في سهل سبيبة الواقع بين القيروان و تبسة ، وظهرت مؤامرة بني هلال حيث أرسلوا إلى إخوانهم في المغرب الأوسط يقبحون عنهم مساعدتهم للناصر الحمادي و يخوفونهم من " إن قوي يهلكم . " ، فأجابوهم بنو هلال المغرب الأوسط إلى الموافقة و إتفقوا على تقسيم الغنائم فيما بينهم[2] فإنهزم الناصر و وقع في جنده القتل ، وقتل أخوه القاسم بن علناس (الذي كان قد نصح أخوه الناصر بعدم الخروج مع العرب) ، كما قتل كاتبه وغنمت عرب بني هلال جميع ما كان في معسكره من مال وسلاح ، ونجا الناصر و لحق بقسنطينة ثم بالقلعة ، و أرسل بني هلال الألوية و الطبول و خيام بدوابها إلى إبن عمه " تميم بن المعز " ، لكنه ردها و قال : " يقبح بي أن آخذ سبي إبن عمي ." ، وظهر عليه الحزن لتنامي قوة الهلالين و سيطرتهم على البلاد ، وقد كان لوقعة سبيبة حدًا كبيرًا من السوء حيث أصبحت بلاد المغرب الأوسط مفتوحة أما قبائل بني هلال[3] .

- تخريب قلعة بني حماد و الإنتقال إلى بجاية :

حاصر بني هلال الناصر بن علناس في القلعة ، وقد أتلفوا البساتين و قطعوا الأشجار الغابة المحيطة بالقلعة ، كما خربوا طبنة و المسيلة و أخرجوا منها سكانها و ردموا الآبار و

[1] : رشيد " بوروبية " ، المرجع السابق ، ص: 55 .

[2] : إدريس هادي " روجي " ، المرجع السابق ، ج: 1 ، ص ، ص: 305 ، 306 .

[3] : عبد الحليم " عويس " ، المرجع السابق ، ص: 131 .

نشروا الرعب في كامل البلاد و أجبروا الأهالي على الإعتصام في مدنهم مع ولاة الأقاليم و ذكر إبن خلدون خراب القلعة بقوله: " **ثم لحقوا** بالقلعة فنازلوا و خربوا جنابتها و أحبطوا عروشها ، وعاجوا على ما هناك من الأمصار ، ثم طبنة والمسيلة فخربوها وأزعجوا ساكنيها وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعًا صفصفًا أقفر من بلاد الجن و أوحش من الجوف العير ، و غوروا المياه و إحتطبوا الشجر و أظهروا في الأرض الفساد و هجروا ملوك إفريقية والمغرب من صنهاجة و ولاة أعمالها في الأمصار ، وملكوا عليهم الضواحي يتحيفون جوانبهم و يقعدون لهم بالمرصاد ، و يأخذون لهم الأتوات **على** التصرف في أوطانهم ، و لم يزل هذا دأبهم حتى لقد هاجر الناصر بن علناس القلعة ."[1] ، فشهدت القلعة تدميرًا كبيرًا على يد الهلاليين و أمام هذا الوضع المزري كان لابد للأمير **الحمادي الناصر بن علناس** أن يبحث عن موضع جديد يتخذه كعاصمة لدولته بدلاً **من القلعة** و قد وقع إختياره على بجاية* ، وقد أبهرته بموقعها الحسن فهي موقع متفتح على كل التيارات كما أنها كانت همزة وصل بين القرى الداخلية والخارجية بإضافة إلى تمتعها بالحصانة الطبيعية ، فسارع الناصر بن علناس في إختطاط المدينة و بنائها[2] **و ذكر إبن** خلدون ذلك ، بقوله: " و إختط بالساحل مدينة بجاية ، و نقل إليها ذخيرته و أعدها لنزله ، ونزل المنصور إبنه من بعده فرارًا من ضيم هذا الجيل و فسادهم بالضواحي إلى منعة الجبال وتوعر مسالكها على رواحلهم ، و إستقروا بها بعد ، **وتركوا القلعة**[3] وكانت بجاية **مجرد " منزل** " يسكنه بعض الفلاحين البربر من قبيلة بجاية الصنهاجية[4] وبناها الناصر

---

[1] : **إبن خلدون " عبد الرحمن "** ، ديوان المبتدأ أو الخبر...، **المصدر السابق** ، ج: 6 ، ص: 27 .

* **بجاية :** هي مدينة عظيمة على ضفة البحر و البحر يضرب في أسوارها و هي محدثة من بناء ملوك صنهاجة أصحاب القلعة أبي طويل ، و البحر منها ثلاث في جهات في الشرق و الغرب و الجنوب ، **ينظر:** مؤلف مجهول ، **الإستبصار...، المصدر السابق** ، ص ، ص: 128 ، 129 .

[2] : أمينة " بوتشيش " ، بجاية دراسة تاريخية و حضارية بين القرنيين السادس و السابع هجريين ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2007 ، 2008 ، ص ، ص: 5 ، 6 .

[3] : **إبن خلدون " عبد الرحمن "** ، ديوان المبتدأ أو الخبر...، **المصدر السابق** ، ج: 6 ، ص: 27 .

[4] : إدريس هادي " **روجي** " ، **المرجع السابق** ، ج: 1 ، ص: 315 .

سنة (460 هـ / 1169م) وبعد سنة من تشيدها نقل إليها الناس و كل المدخرات و العتاد و سماها " الناصرية " نسبة إلى إسمه ، كم نظم أمور الرعية و أسقط الخراج و بنى بها القصور و سور و دور لصناعة المراكب و ذلك لغناها بمادة الخشب لكثرة الغابات بها ، ولكن إسم الناصرية غلب عليه إسم بجاية[1] .

و يذكر صاحب كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار ، حصانة بجاية و مناعتها في وجه الهلالين ، بقوله :" و ليس لها طريق سهلة إلا من جهة الغرب ، فلم يكن للعرب إليها سبيل ، و لا كان يدخل من العرب إلا من يبعث إليه الملك لمصانعة على بلاد القلعة و غيرها فيدخلها أفراد أو فرسان دون عسكر. "[2] .

ثانيًا . الأثر الإقتصادي والمالي :

لا شك أن الوجود الهلالي في بلاد المغرب الأوسط في منتصف القرن (5 هـ / 11م) كان من أكبر المشاكل التي شملتها خراب الأرض و الإنسان و الحيوان جميعًا لأنهم كانوا بدوًا رحلاً يربون المواشي و الخيل و يطلبون المراعي[3] فعند هجوم بني هلال على قلعة بني حماد أتلفوا الأراضي و البساتين و نهبوا الفنادق و ردموا الآبار ، ثم فرضوا الجزية على السكان الراغبين في إستغلال أراضيهم و بعد أن صالحوا بني حماد أجازوا إعطائهم نصف غلات البلاد ثم في عهد المنصور بن الناصر جعل لهم نصف غلة البلاد من التمر و بُرْ، وبعد هزيمة الناصر بن علناس ضد الهلالين تحسنت أحوالهم المعيشية و ذلك من خلال ما ذكره إبن الأثير " و بهذه الوقعة تم للعرب ملك البلاد ، فإنهم قدموها في ضيق و فقر و قلة دواب ، فإستغنوا و كثرت دوابهم ." [4] و كان الإدريسي الذي زار المغرب الأوسط بعد المسيرة الهلالية و وصف المدن و القرى التي أضر بها بني هلال ، حيث ذكر الطريق من بجاية إلى القلعة بقوله: " و هذه الأرض كلها تجولها العرب و تضر بأهلها و سوق الخميس

[1] : أمينة " بوتشيش " ، المرجع السابق ، ص: 6 .

[2] : مؤلف مجهول ، الإستبصار...، المصدر السابق ، ص: 130 .

[3] : نول " بلمداني " ، المرجع السابق ، ص: 78 .

[4] : إدريس هادي " روجي " ، المرجع السابق ، ج: 1 ، ص: 308 .

حصن بأعلى جبل و به مياه جارية ، ولا تقدر عليه لمنعته ، ومنه إلى حصن مطماطة في أعلى جبل سوق الإثنين ، وبه المنزل ، وهو قصر الحصن ،والعرب محدقة به ، ثم إلى حصن القلعة مرحلة و جميع هذه الحصون أهلها مع العرب في هدنة ، وربما أضر بعضهم ببعض ، غير أن أيدي الأجناد بها مقبوضة ، وأيدي العرب مطلقة في الإضرار و موجب ذلك أن العرب لها دية مقتولها ، و ليس عليها دية فيمن قتل. "[1] و قوله: " دار ملول ...وفيها حصن مطل فيه مرصد من البلد ينظر إلى مجال العرب في بلادهم ." " وفي الشرقي من مدينة القلعة بني حماد مدينة ميلة...وأهلها من أخلاط البربر جملة و العرب تحكم بخرَاجِها . " و ذكره: " إلى مدينة قسنطينة و معاملات للعرب و تشارك في الحرث و الإدخار و الحنطة . "[2] و قوله: " مدينة قسنطينة ، مرحلتان جنوبًا و الطريق في أرض تغلبت عليها العرب ." و ذكره " أما حصن بشر فهو قلعة عامرة من أعمل بسكرة هي الآن في أيدي العرب ."[3] و بهذا شكل أصبحت قبيلة الأثبج الهلالية من أهم القبائل بالمنطقة ، فبعد أن تمكنوا من إخضاع صنهاجة إستقروا بجبال الأوراس الشرقية و كان لهم عدة بطون نذكر منهم على سبيل المثال لا حصر " كرفة " و يخبرنا إبن خلدون أنهم رحل جائلون في القفار يقيمون في معاشهم من الحبوب " على زروع أهل الجبل ." ، أما قبيلة " دريد " فكانوا أعز الأثبج و أعلاهم كعبًا حسب المؤلف نفسه ، وكانت مواطنهم مابين بونة و قسنطينة إلى قرية طارف و ما يحاذيها من القفر و بدورهم ينقسمون إلى عدة بطون منهم " أولاد عطية " ، و كانت رئاستهم في أولاد " بني مبارك بن الحباس " و إستقر هؤلاء " بتلة بن حلوف " من ضواحي قسنطينة فزحفت إليهم " توبة " من مواطنهم بطارف فإندثروا و تلاشوا ، فإستقرت " توبة " بضواحي قسنطينة و تركوا الإبل و إتخذوا تربية المواشي و البقر ، كما إستقر قبيلة " عياض بن مشرف بن الأثبج بن هلال " بجبل قلعة بني حماد بعد " أن ملكوا قبائله و غلبوهم على أمرهم ، و صاروا يتولون جبايتهم ." فتمكنوا من هزيمة القبائل الصنهاجية بالمنطقة ، و أصبحوا عمالاً يقومون بجابية ، ويلحق بأثبج

[1] : الإدريسي " أبي عبد محمد " ، المصدر السابق ، ص: 263 .
[2] : نفسه ، ص: 265 .
[3] : نفسه ، ص ، ص: 125 ، 126 .

" العمور " وهما بطنان " قرة " و " عبد " ، ويذكر إبن خلدون مواطنهم بالمغرب الأوسط قائلاً: " هم ساكنون بالضواحي و الجبال و فيهم الفرسان و موطنهم مابين جبل الأوراس شرقًا إلى جبل راشد ، وكان كل ذلك من ناحية الحضنة والصحراء ."[1] فقد أحدث عرب بني هلال تغيرًا في حياة الرعاة من البربر الذين عرفوا حياة الترحال و الإنتقال الموسمي بقطعانهم ، ، و بما أن البدو الرحل يحتاجون إلى مراعٍ ، كان لابد للوافد أن يطرد من سبقه إليها ، و بهذا يكون المغرب الأوسط قد دخل مرحلة جديدة بتذبذب إستقرار قبائله فتوزع الزناتيون بين التل و الصحراء و المغرب الأقصى و إستحوذ عرب الأثبج الهلالية على بعض الممتلكات في السهول الزاب و قلعة بني حماد[2] ، إن ظاهر الهجرة الهلالية إلى المغرب الأوسط قلبت الأوضاع الإقتصادية للمنطقة و ذلك لحدة الإكتساح على البادية و المدينة على حد سواء ، حيث قدر إبن غذاري أن عددهم سبعة آلاف فارس و خمسمائة منهم من هاجموا من جهات مختلفة من المغرب الأوسط و إكتسحوا بساطه بقوة لا تقهر حتى إنتهوا إلى ضواحي القلعة بني حماد ، إلى ذلك لم يتورع بني هلال على تدمير الأراضي الزراعية و إتلاف محاصيلها عبر سياسة تقوم على النهب و السلب و التخريب ، كما شكلت السهول مناطق إغراء الهلالين مما أسفر عن ذلك توسع المجال الرعوي على حساب المجال الزراعي و حتى الغابوي و إضطر أهل البادية من البربر ترك السهول و الإعتصام بالمرتفعات ، فتحولت المزارع إلى مراعي و مسارح ذلك أن الزحف الهلالي أحدث صدمة عنيفة بالنسبة لنشاط الزراعي ، و أسهم في إرتباكه و تراجعه خاصة و أنهم لم يكونوا يعرفون الحرث و الفلاحة ، وما يثبت أن الفلاحة كانت المتضرر الأول من غزوة بني هلال هي تحركاتهم الهادفة لمحاولة إكتساب مراعي جديدة لقطعانهم و مجالات أخرى لإنتجاعها ذلك أنه بعد تخريب معالم الإقتصاد بالمغرب الأوسط فقد شلوا نشاط المزارعين البربر لمدة طويلة[3] ، فكانت مواجهة البربر أصحاب الملكيات لهم و محاولة دفعهم عن أراضيهم و أموالهم ومن خلال مصنفات النوازل تتضح لنا

---

[1] : نول " المداني " ، المرجع السابق ، ص ، ص: 125 ، 126 .

[2] : نفسه، ص ، ص: 79 ، 80 .

[3] : نفسه ، ص : 127 .

الأوضاع الإقتصادية الصعبة جراء الزحف الهلالي ، حيث سئل المازري " عمن إبتلى به المسلمون من هؤلاء العرب ، الذين إقتطعوا أراضيهم وربائهم و منازلهم ، و إقتسموها بالسيف ، و حالوا بينهم و بينها ، فليخرج الناس إلى الحرث و الحصاد ، وجمع الزيتون ، مستوجزين مستعجلين إلى الرجوع إلى مدائنهم ، فيخاف كل واحد منهم إن تأخر عن أصحابه على نفسه و مالهِ ، يتركون في الحرث أرضهم و يحرثون غير بحكم و قسم العرب و يتركون كثيرًا من زيتونهم عند جمعه لبعدهم عنه و عدم تمكنهم من الأسباب فيه و المخالصة عليه فيحتاجون لضرورتهم أن يستأجروا على جمع الزيتون قبل طيبه بثلثه."[1] ذلك أنه حرصًا على تجنب عمليات النهب التي يقوم بها بني هلال **كان المزارعون مجبرون على الحصاد** أراضيهم وزرعها قبل الأوان ، **كما** تغلب الهلاليين على الطرق القوافل ، فلا يجتازها غيرهم إلا بخفارة أحدهم فتوقفت حركة البربر التجارية من هذه الناحية[2] **و**كانت تحركات بني هلال إرتبطت بالرغبة في السيطرة على المسالك الصحراوية و مع ذلك لم يؤثر سيطرتهم على الطريق التجاري الهام الرابط بين قفصة و **ورجلان** رغم توسطهم له ، إن المناطق التي إختارها بني هلال للإستقرار في معظمها كانت ذات مواقع إستراتيجية إقتصاديًا لوقوعها على أهم المسالك تجارة القوافل الصحراوية بين بلاد السودان و مصر و **واحات ورجلان وطرق** الأخرى رابطة بين أهم مدن المغرب الأوسط و المغرب الإسلامي عمومًا كالمسلك المؤدي بين المسيلة إلى القيروان **وإلى قفصة عن مقره وطبنة و بسكرة*** و تهودة** من طرق و مسالك بلاد المغرب الأوسط ، وطريق

---

[1] : **المازري " أبو عبد محمد بن علي " ، فتاوى المازري ، تح:** الطاهر المعموري ، الدار التونسية ، لنشر ، تونس ، 1994 ، ص: 360 .

[2] : يحيى أبو المعاطي " **محمد عباس** " ، الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب و الأندلس (238 - 488 هـ / 852 - 1095م) ، رسالة مقدمة لنيل الدكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، 2000 ، ص: 262 .

* **بسكرة :** بلدة من نواحي الزاب بينها وبين القلعة بني حماد ، مرحلتان فيها النخل وشجر وقصب جيد بينها وبين طبنة مرحلة ، **ينظر:** ياقوت الحموي " شهاب الدين " **المصدر السابق** ، ج: 1 ، ص: 422 .

** **تهودة : من بلاد** الزاب بالقرب من بسكرة وهي مدينة أولية بنيانها بالحجر الجليل وعليها سور عظيم ولها ربض ويدور بجميعها خندق ، **ينظر:** الحميري " **محمد عبد المنعم** " ، **المصدر السابق** ، ص: 124 .

تيجس*بالمسيلة و طريق قسنطينة وميلة وسطيف، والطريق الرابط باغاية**طبنة عن طريق بالزمة ونقاوس***ومجانة ببونة عن طريق تيجس[1] .

ثالثا . التأثير الإجتماعي و الثقافي .

يقول إبن خلدون في ذكره لبني هلال " إن العرب إذا تغلبوا على الأوطان أسرع إليها الخراب و السبب في ذلك أنهم أمة وحشية بإستحكام عوائد التوحش و أسبابه فيهم فصار لهم خلقًا و جبلة و كان عندهم ملذوذًا لما فيه من الخروج عن ربقة الحكم و عدم الإنقياد للسياسة و هذه طبيعة منافية للعمران و مناقضة له فغاية الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة و التغلب ."[2] و ذكر المؤرخ " جورج مارسيه " ما أسماه نتائج الحملة الهلالية و هي إشاعة الفوضى بإفريقية و تعريب المنطقة ، وإدخال البداوة إليها و إغتصاب أراضي بربر زناتة و هذا ما أدى ببلاد المغرب من الدخول في طور جديد تميز بإنحطاط ؟!.[3] ، أما المؤرخ فليكس غوتي " فقد شبه الحركة الهلالية بهمجية الشعوب المتبربرة المحطمة للحضارة؟!.[4] إن الطابع العام المتميز لطبيعة العرب الهلالية هو التنقل والترحال : " فهم أبعد نجعة ، و أشد تحولاً تؤويهم خيامهم ، و يعيشون من ألبان إبلهم و لحومها ." ، " يقتاتون منها يسيرًا بعلاج و بغير علاج البتة إلا ما مسته نار ." فهم دائمون التنقل ، كثيرو الترحل و أصبحوا

* **تيجس :** مدينة لها سور وربض قد إستدار من قبلاتها إلى بحريها وسوق صالح وماء جارٍ من عين تعرف بتبودًا ، **ينظر:** إبن حوقل " أبي القاسم " ، المصدر السابق ، ص: 76 .

** **باغاية :** هي كبيرة عليها سور أزلي ولها ربض عليه سور وأسواق فيه ولها ماء جار من وادي يأتيهم من قبلة ومنه شربهم ، **ينظر:** نفسه ، ص: 84 .

*** **نقاوس** : مدينة صغيرة كثيرة الشجر والبساتين وفيها سوق قائمة ومعايش ، **ينظر:** نفسه ، ص: 264 .

[1] : فوزية " كرراز" ، السيطرة الهلالية بالمغرب الإسلامي ، **دورية كان تاريخية** ، العدد : 12 ، جوان ، ص...ص: 51...55 .

[2] : إبن خلدون " عبد الرحمن " ، المقدمة ، المصدر السابق ، ص: 187 .

[3] : George Marçais : la berbérie musulmane et l’orient au moyen âge , Edition afrique orient , 1991 , p : 193 .

[4] : Emile Félix Gautier : l’islamisation de l’Afrique du nord- les siècles obscurs du Maghreb , Payot , paris , 1927 , p : 389 .

" بدون وطن يرتافون منه ، و لا بلد يجنحون إليه ، فنسبة الأقطار و المواطن إليهم على السواء ." و من ثمة فلا يربط بينهم حقل و لا مزرعة و لا جبل و لا واد ، فالرابطة الوحيدة التي تشد أفرادً منهم إلى الآخرين ، و تميز جماعات منهم عن الأخرى هي الرابطة الطبيعية رابطة الدم التي تبقى لديهم واضحة لصفاء و نقاوة أنسابهم نتيجة تفردهم في القفر و عدم الإختلاط مع غيرهم ، و إن الشروط الأساسية لقيام العمران الإستقرار و السكن و هؤلاء الهلالين كان طابعهم الترحال[1] .

إن الظروف المعيشية القاسية التي عاشها بني هلال قد إنعكست آثارها على طبائعهم و أخلاقهم و أنماط سلوكهم " إن طباعهم جافية ، هي إلى طباع الحيوان أقرب ، ينزلون من الآهلين منزلة المفترس من الحيوانات ."[2] ، فجعلهم ذلك إلى أن يمدون أيديهم إلى ما بأيدي الناس ، يسلبونهم أموالهم و متاعهم ، ولا يجدون في ذلك منكرًا و لا ظلمًا ، فقد تطبعوا بذلك و أصبحت أرزاقهم في رماحهم و سيوفهم ، يكسبون منها عيشهم من أسفل الطارق ، طرق النهب و السلب ، كما كانوا لا يتغلبون إلا على الأراضي المنبسطة[3] وزيادة في توضيح البعد السلبي لطابع البدو الهلالية[4] يتجلى ذلك في قول إبن خلدون : " فالحجر مثلاً إنما حاجتهم إليه لنصبه أثافي القدر فينقلونه من المباني و يخربونها عليه و يعدونه لذلك و الخشب أيضًا إنما حاجتهم إليه ليعمدوا به خيامهم و يتخذوا الأوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه لذلك فصارت طبيعة و جودهم منافية للبناء ." و وصف إبن خلدون الخراب الكبير الذي أحثه بني هلال وبنو سليم و الذي إنعكس سلبًا على الواقع الإجتماعي في قوله " و إفريقية و المغرب لما جاز إليها بنو هلال و بنو سليم منذ أول

---

(1) : محمد " عابد " ، فكر إبن خلدون - العصبية و الدولة - ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ص ، ص: 147 ، 148 .

(2) : إبن خلدون " عبد الرحمن " ، المقدمة ، المصدر السابق ، ص: 171 .

(3) : محمد عابد " الجباري " ، المرجع السابق ، ص: 148 .

(4) : محمود أحمد " أبو صوة " ، تاريخ العرب الإجتماعي و الثقافي في العصر الوسيط - قراءة مغايرة - ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، 2002 ، ص: 26 .

المائة الخامسة و تمرسوا بها لثلاثمائة و خمسين من السنين قد لحق بها و عادت بسائطه خرابًا ، كلها بعد أن كان ما بين السودان و البحر الرومي كله عمران تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم و تماثيل و شواهد القرى و المدر "[1] .

كانت الهجرة بالنسبة لبني هلال الوسيلة التي تقيدهم في سبيل تأمين قوتهم و تحقيق غايتهم في الحياة الكريمة، فإن جذور تنقلاتهم الضاربة في ماضيهم فوجب بذلك أن تكون لهم طريقة خاصة في تنقل عائلاتهم و فرسانهم و حيواناتهم و أمتعتهم ، فقد كانت الهجرة عند العرب منذ العهد القديم قائمة على العرف ، فإن هذا النظام الصارم هو الذي حافظ على وجود بني هلال و ميز هويتهم عن سائر الجماعات فلم تكن الهجرة دائمًا فرصة يحرص فيها البدو أن يخرجوا عن قانون القبيلة الذي يبلغ رضاهم به لأنه شرط بقائهم[2] ، " و أما حللهم فإنها يذود منها خارج حامية الحي من أنجادهم و فتيانهم المعروفين بالشجاعة فيهم و لا يصدق دفاعهم و ذيادهم إلا إذا كانوا عصبية و أهل نسبٍ واحد لأنهم بذلك تشتد شوكتهم و يخشى جانبهم ."[3] فإن البدوي المشغول بتحصيل عيشه طول وقته ، خاضع للطبيعة و تحت رحمتها فهو غني إذا جادت المياه و العشب ، فقير و مهدد بالموت إذا فقد ذلك ، و عندما تجد الجماعة البدوية نفسها مهددة بالفناء تحت وطأة الجدب أو غيره ، فإنها لا تترد في الهجوم على مواطن الجماعات الأخرى التي تعيش في ظروف أحسن ، و إذا حاولنا تحديد ملامح الهجرة الهلالية في تصنيفها الإجتماعي ، حيث يحتل الفرسان المقدمة من الموكب لأنهم هم الذين يوكل إليهم التوجيه في حركتهم و تتبعهم النساء ذات المولد الشريف و النسب الأصيل اللواتي يكن داخل الهوادج العالية الفسيحة ، ثم تحل الفصيلة من الإبل التي تأخد على عاتقها الأعباء الثقيلة بمجموعها ، فتحمل أكياسًا كبيرة ذات الجنبات المنفتحة و المحدبة و المشحونة بالغالب بالحبوب أو التمر و على ظهورها الأوتاد و الصناديق و الماعون و كل ما ينتفع به الأعراب من أدوات نصب الخيام ، و في الأخير يقبل القطيع

---

[1] : إبن خلدون " عبد الرحمن " ، المقدمة ، المصدر السابق ، ص: 187 .

[2] : عبد الحميد " بوسماحة " ، المرجع السابق ، ص: 109 .

[3] : إبن خلدون " عبد الرحمن " ، المقدمة ، المصدر السابق ، ص: 159 .

المقسوم إلى زمر يسوقها الرعاة و العبيد و يحرسها سرب من الكلاب ، و تجتمع القبيلة في مكان معين و تستهلك مواردها الطبيعية ثم ستأنف مسيرها بعد إنقراض أو نفاذ عناصر الحياة التي تتوفرها[1] .

وكان للمرأة الهلالية دور راقي و مكانة إجتماعية إذ نجد الجازية التي وصلت إلى مركز قيادي في القبيلة فكانت تلعب دور الرجل في الحرب ، و هذا ما كانت عليه الغالبية من النساء الهلاليات ، و تعتبر هذه الأبيات من الشعر التي أنشدتها " الجازية " نموذجًا للدلالة على دور المرأة في تحفيز الرجال لخوض المعارك ، ومنها قولها :

خذوا بالرجال براقعنا لا وجوهكم * و هاتوا ملابسكم و إقعدوا في المواقد

و نحن ظلقكم و نأخذ بدا لكم * و تحوم عليكم بارزات النواهد

أيا يَا بنات إسمعوا شرح قصتي * و دقوا طبول الحرب حتى نجاهد[2]

فكان البربر يعلمون يقينًا أن ما نتج عن زحف الهلالي ليس ناشئًا عن عداوة إستعمارية كالشعوب التي مرت على بلاد المغرب أو قسوة حربية و لذلك إختلطوا بهم و أخذوا عنهم عوائدهم الإجتماعية و أخلاقًا فاضلة أضافوها إلى عوائدهم و أخلاقهم كالشجاعة و الكرم و الفروسية ، فكان نفوذ الهلالين في البربر إجتماعيًا و لغويًا و جنسيًا ، كما كان نفوذ العرب الفاتحين دينيًا و سياسيًا ، فيمتاز شعوب العرب عن غيرهم من الأمم بأنه غير ناشئ عن دعاية سياسية و أنه خالد خلود الراسيات لا يذهب بذهاب سلطانهم[3] ، و كانت قبائل زناتة في أغلبها راسخة في الحياة البدوية و لتشابه الحياتين تأثر كذلك الهلاليين بزناتة في بعض عوائدهم ، حيث يقول إبن خلدون: " شعارهم لبس المخيط في الغالب ، لبس العمائم تيجانا على رؤوسهم ، يرسلون من أطرافها غذبات يتلثم قوم منهم بفضلها ، و هم عرب المشرق ، و قوم يلفون منها الليت و الأخدع قبل لبسها ثم يتلثمون بما تحت أذقانهم من فضلها ، حاكوا بها عمائم زناتة من أمم البربر قبلهم ، و كذلك لقنوا منهم في حمل السلاح إعتقال

(1): عبد الحميد " بوسماحة " ، المرجع السابق ، ص: 110 .

(2): نفسه ، ص ، ص: 43 ، 44 .

(3): مبارك بن محمد " الميلي " ، المرجع السابق ، ص: 187 .

الرماح الخطية ، و هجروا تنكب القسي ، و كان المعروف لأولهم ومن بالمشرق لهذا الأمر إستعمال الأمرين ."[1] و قوله : " هذه كلها شعائرهم و سماتهم ، و أغلبها عليهم إتخاذ الإبل و القيام على نتاجها و طلب الإنتجاع بها لإرتياد مراعيها و مفاحص توليدها ، بما كان معاشهم منها ، فالعرب أهل هذا الشعار من الأجيال الآدمين ، كما أن الشاوية أهل القيام على الشاة و البقر ، لما كان معاشهم فيها ، فلهذا لا يختصون بنسب واحد بعينه ، إلا بالعرض و لذلك كان النسب في بعضهم مجهولاً عند الأكثر ، وفي بعضهم خفيًا على الجمهور ، و ربما تكون هذه السمات و الشعائر في أهل نسب آخر فيدعون بإسم العرب ."[2] فكانت القبائل الزناتية تشبه في نمط عيشها عرب بني هلال " **إتخذوا من شعائر** العرب في السكنى الخيام و إتخاذ الإبل و ركوب الخيل و التغلب في الأرض و إيلاف **الرحلتين** ." وهذه الظروف جعلت من قبائل زناتة " يتبعون القطر ، و ينتقلون في البلاد بمواشيهم و إبلهم كفعل العرب ."[3] و كان المغرب الأوسط فيه أغلب ديار زناتة ، من ذلك المجمع الذي كان لهم " قريبيًا من تيهرت ، و لهم بيوت كبيوت الأعراب يحملونها ." **و كانت قبائل زناتة** كنظيرتها من القبائل الهلالية تعترض طريق القوافل القادمة من المشرق و المغرب نحو المغرب الأوسط فكان لها البالغ الأثر على القبائل الأخرى و من خلال قول إبن الأثير: " **و كانت زناتة تفسد البلاد ، فإذا طلبوا إحتموا بالجبل و البراري** ." ، و هذا ما **جعل المؤرخ** " غوتيه " يصف زناتة بأعراب بني هلال و أنهم إخوانهم في البداوة ، وعنصر تخريب و فوضى و ثورة دائمة على كل سلطة ؟![4] . يذكر الدكتور " عبد الحليم عويس " قوله: " و يخيل إلينا أنه لولا القبائل العربية التي إمتصت قدرًا من طاقة صنهاجة في المغربين الأدنى و الأوسط ، لقضي على الوجود الزناتي بالمغرب ، ليس على المستوى السياسي فقط ، بل على مجرد وجودها فوق أرض المغرب ."[5] أي أنه لولا الوجود الهلالي الذي أحدث نوعًا في توازن القوة لتقلصت السلالة الزناتية البترية بشكل كبير جراء

---

[1] : مبارك بن محمد " الميلي " ، المرجع السابق ، ص: 188 .

[2] : إبن خلدون " عبد الرحمن " ، المقدمة ، المصدر السابق ، ص: 151 .

[3] : نول " بلمداني " ، المرجع السابق ، ص: 116 .

[4] : نفسه ، ص: 131 .

[5] : عبد الحليم " عويس " ، المرجع السابق ، ص: 137 .

المذابح التي طالتها من قبل صنهاجة البرانس منذ عهود الغابرة ، و كانت الخيام هي سكن الهلاليين و الزناتيين ، وكانت النساء هي التي تقوم في الخيام و ترفعها حسب مقتضيات الحياة ، كما أن العرب الهلاليين و زناتة رفعوا عدد البدو في بلاد المغرب بنسب من المستحيل تحديدها[1] ولقد كان لتغريبة الهلالية دور كبير في تعريب سكان المغرب الأوسط ، و لم تكن الغزوة الهلالية شرًا خالصًا فقط[2] . فقد كان اللسان الهلالي مضري حيث حافظوا عليه ببداوتهم في المفردات و التراكيب و الوجوه البلاغية و أساليب الخطاب " و فيهم الخطيب المصقع في محافلهم و مجامعهم ، و الشاعر المفلق على الأساليب لغتهم ، و الذوق الصحيح و الطبع السليم شاهدان بذلك ، ولم يفقدوا من الأحوال اللسان المدون إلا الحركات الأعراب في أواخر الكلم فقط "[3] .

كانت ملحمة الهلالين مع خليفة الزناتي تمتاز بطابع شعبي يجعلها فريدًا في الأدب العربي[4] .

و قصة بني هلال في الأدب تختلف عن وقائع التاريخ إختلافًا بينًا ، فهي أشبه بالصدى البعيد للحوادث التاريخ ، و كان الهلاليين يضعون الشعر في مكان الصدارة من الإنتاج

---

[1] : جورج " مارسيه " ، المرجع السابق ، ص: 238 .

[2] : حسين " مؤنس " ، المرجع السابق ، ص ، ص: 176 ، 177 .

[3] : مبارك بن محمد " الميلي " ، المرجع السابق ، ص: 189 .

[4] : حسين " مؤنس " ، المرجع السابق ، ص: 169 .

الفني كما تستمد التغريبة الهلالية قيمتها الشعرية من العناصر التي فيها أساليب اللغة البليغة[1].

ومنه نستنتج أن التحول المذهبي أثر بشكل كبير على المغرب الأوسط و ذلك جراء الهجرة الهلالية حيث تلاشى نفوذ الحماديين كماعاش سكان بلاد المغرب الأوسط أوضاعًا إقتصادية صعبة جراء التخريب الهلالي ، أما التأثير الكبير فقد مس الجانب الإجتماعي و ذلك بتغير التركيبة الإجتماعية لسكان المغرب الأوسط إضافة إلى تعريب الذي مس سكانه جراء ذلك .

[1] : عبد الحميد " بوسماحة " ، المرجع السابق ، ص: 328 .

الخاتمة

شكل التحول المذهبي في العهد الصنهاجي حدثًا حاسمًا في تاريخ المغرب الأوسط و ذلك لأثره الكبير الذي مس جميع الميادين كما أنه مثل حلقة من حلقات الصراع المذهبي في العهد الوسيط ، ومن خلال دراستي لهذا الموضوع نستخلص العديد من النتائج و المعطيات:

- قامت الدولة الفاطمية في المغرب الأوسط و التي كانت ذات صبغة إسماعيلية شيعية على أساس العصبية الكتامية ثم إن التحالف الكتامي الصنهاجي ساعد على توطيد أركان الخلافة الفاطمية .

- إن السياسة المذهبية الفاطمية بالمغرب الأوسط قامت على أساس فرض المذهب الشيعي الإسماعيلي و إضطهاد فقهاء أهل السنة ، كما أنهم إستحدثوا ضرائب غير شرعية أثقلت كاهل الرعية و أثرت على الجانب الإقتصادي .

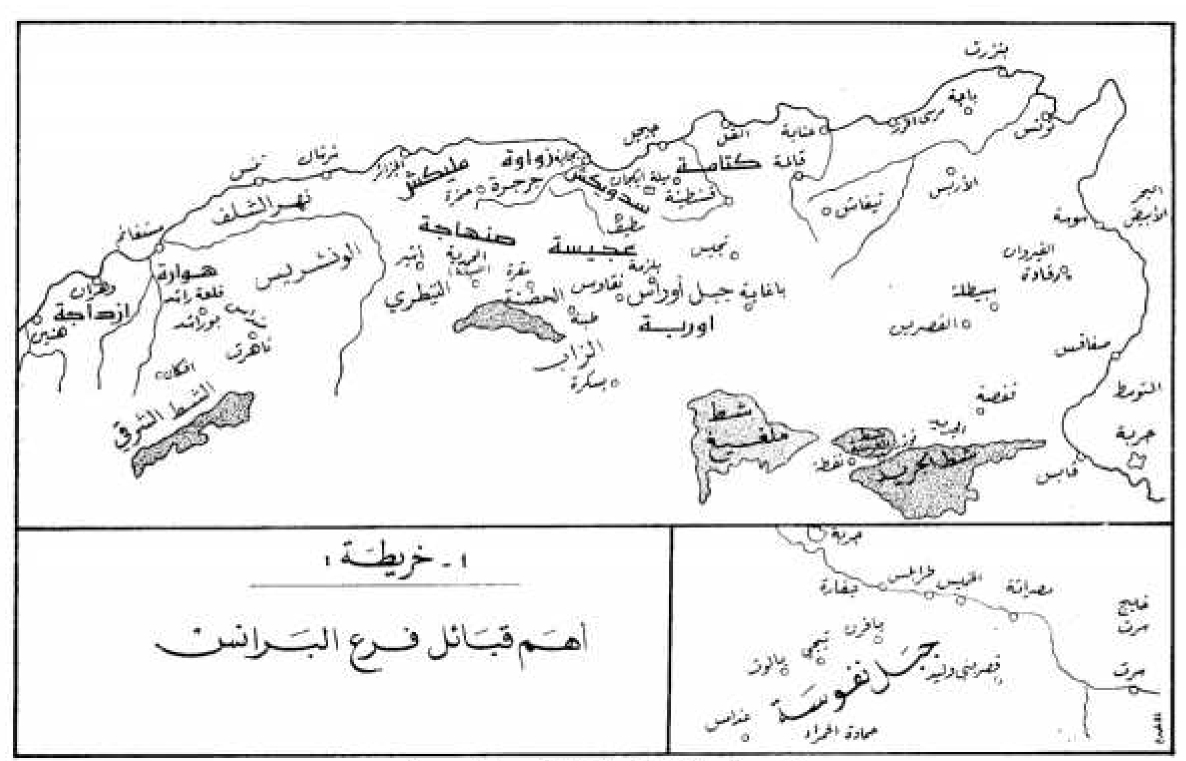
- قامت العديد من الثورات في المغرب الأوسط ضد الحكم الفاطمي و التي كانت من أكبرها ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد بمساعدة الأمويين بأندلس و بمباركة فقهاء المالكية .

- كان الحماديون أول المبادرين في التحول المذهبي بالمغرب الأوسط و ذلك بإعلان حماد بن بلكين عن تبنيه للمذهب السني و نبذه طاعة العبيدين و إعلانه الولاء للعباسيين فنتج عن ذلك حرب طاحنة شهدها المغرب الأوسط بين الفرع الصنهاجي نفسه في عهد باديس الزيري ، إلا أن المعز بن باديس حذا حذو الحماديين و أعلن عن تبنيه للمذهب السني المالكي و مبايعته للخليفة العباسي ببغداد فمثل ذلك إنتصارًا حقيقيًا للمذهب السني و اندثار المذهب الشيعي الإسماعيلي نهائيًا من المغرب الأوسط .

- كان من أكبر نتائج التحول المذهبي في المغرب الأوسط " الهجرة الهلالية " التي إنعكست سلبيًا على الحياة السياسية و الأمنية حيث ضعفت سلطة الحماديين في تسيير البلاد إضافتًا إلى الأوضاع الإقتصادية الصعبة جراء التخريب الهلالي الذي مس الأراضي الزراعية و العمران كما نتج عن ذلك حدوث تغيير كبير في التركيبة الإجتماعية لسكان المغرب الأوسط ، أما الأثر الإيجابي للهجرة الهلالية فكان تعريب الذي عم المطقة .

الملاحق

الملحق : 1



1 ـ خريطة : اهم قبائل فرع البـــرانس

- موسى" لقبال " دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، المرجع السابق ، ص: 686 .

الملاحق : 2

« غلاف مصحف أهداه الأمير الزيري المعز بن باديس للمسجد الجامع في القيروان وعليه خط بيده السطور الآتية :

« يقول عبد الله وحبيبه المعز لدينه : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (ﷺ) ، وأن أحسن الرجال بعد رسول الله هو أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على (رضى الله عنهم جميعاً) . ياالهى إلعن بنى عبيد أعداؤك وأعداء رسولك، ليجعلنا الله نستفيد من الحقد الذى نكنه لهم ، لقد أوقفت هذا المصحف لصالح المسجد الجامع فى القيروان بعمل مشكور ، فى نظر الله العظيم ، سبحان الله » .

المعز بن باديس

- حسن أحمد" خضيري " ، المرجع السابق ، ص : 296 .

الملاحق : 3

أمراء بني حماد:

الأمير	التاريخ
1 - حماد بن بلكين	ت 419ه / 1028م
2 - القائد بن حماد	446ه / 1045م
3 - محسن بن القائد	447ه / 1055م
4 - بلكين بن محمد بن حماد	454ه / 1062م
5 - الناصر بن علناس	481ه / 1088م
6 - المنصور بن ناصر	498ه / 1104م
7 - باديس بن المنصور	500ه / 1106م
8 - العزيز بن المنصور	515ه / 1121م
9 - يحيى بن العزيز	547ه / 1152م

أمراء بني الزيري :

الأمير	التاريخ
1 - باديس بن المنصور	406ه / 1015م
2 - المعز بن باديس	453ه / 1061م
3 - تميم بن المعز	501ه / 1107م
4 - يحيى بن تميم	509ه / 1116م
5 - علي بن يحيى	515ه / 1121م
6 - الحسن بن علي	543ه / 1148م

- عبد الحليم "عويس " ، المرجع السابق ، ص : 287 .

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش .

- صحيح البخاري.

أولاً : المصادر

(1) . إبن الأبار " أبي عبيد الله " ، الحلة السيراء ، تح: حسين مؤنس ، ج: 1 ، دار المعارف ،ط: 2 ، القاهرة .

(2) . إبن الأثير " محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني " ، الكامل في التاريخ ، تح: محمد يوسف الدقاق ، ج: 6 ، دار الكتب العلمية ، ط: 1 ، بيروت .

(3) . إدريس " عماد الدين " ، عيون الأخبار - تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب - ، تح: محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، ط: 1 ، بيروت ، 1985 .

(4) . الإدريسي " أبي عبيد الله محمد " ، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ، ج: 1 ، مكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة ، 2002 .

(5) . الأشعري " أبي الحسن علي " ، مقالات إسلاميين و إختلاف المصلين ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، ج: 1 ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، بيروت ، 1900 .

(6) . البتي " أبو جعفر أحمد " ، تذكرة الألباب بأصول الأنساب ، تح: محمد المهدي ، تقديم : هارون أحمد العطاس ، المواهب لطباعة و النشر ، بيروت ، 2001 .

(7) . إبن بسام " أبو الحسن علي " ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تح: إحسان عباس ، ج: 4 ، دار الثقافة للطباعة والنشر و التوزيع ، ط: 1 ، بيروت ، 1979 .

(8) . البغدادي " أبي منصور بن طاهر " ، الفَرقُ بين الفِرقْ ، تح: محمد عثمان الخشن ، مكتبة إبن سينا للنشر و التوزيع ، القاهرة .

(9) . البكري " أبو عبيد " ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب - المسالك و الممالك - ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .

(10) . إبن تيمية " أبي العباس تقي الدين أحمد " ، مختصر الصارم المسلول على شاتم الرسول^ ، تح: علي محمد العمران ، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، 1422 هـ .

(11) . التيجاني " أبو محمد عبد " ، رحلة التيجاني ، تقديم : حسن حسني عبد الوهاب ، دار العربية للكتاب ، تونس .

(12) . الجوذري العزيزي " أبي منصور علي " ، سيرة الأستاذ جوذر ، تح: محمد كامل حسين . محمد عبد الهادي شغيرة ، دار الفكر العربي ، ص: 49 .

(13) . الجوهري " أبي القاسم عبد الرحمن " ، مسند الموطأ ، تح: لطفي بن محمد الصغير . طه بن علي بوسريح ، دار الغرب الإسلامي ،ط: 1 ، بيروت ، 1997 .

(14) . إبن حزم " أبي محمد علي بن أحمد " ، جمهرة أنساب العرب ، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ،ط: 5 ، القاهرة .

(15) . (____________) ، الملل و الأهواء و النحل ، تح: محمد إبراهيم نصر . عبد الرحمن عميرة ، ج: 4 ، دار الجيل ، بيروت .

(16) . إبن حماد الصنهاجي " أبي عبد محمد" ، أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم ، تح: التهامي نفزة . عبد الحليم عويس ، دار الصحوة للنشر و التوزيع ، القاهرة

(17) . الحميري " محمد عبد المنعم " ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح: إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1984 .

(18) . الحنبلي " شهاب الدين أبي الفلاح " ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج: 4 ، تح: عبد القادر الأرناؤوط . محمود الأرناؤوط ، دار إبن كثير ، دمشق ، 1976 .

(19) . إبن حوقل " أبي القاسم " ، صورة الأرض " ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1996.

(20) . إبن خلدون " عبد الرحمن " ، ديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تح: خليل شحادة . سهيل زكار ، ج: 6 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2000 .

(21) . (____________) ، **المقدمة ، تح:** خليل شحادة . سهيل زكار ، ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2000 .

(22) . إبن خلكان " أبي العباس شمس الدين" ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تح: **إحسان عباس** ، ج: 3 ، دار صادر ، بيروت .

(23) . الدباغ " أبو زيد عبد الرحمن " ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تح: **محمد ماضور** ، ج: 3 ، المكتبة العتيقة ، تونس .

(24) . الرقيق " أبو إسحاق إبراهيم " ، تاريخ إفريقية والمغرب ، تح: محمد زينهم . **محمد غرب** ، دار الفرجاني لنشر و التوزيع ، ط: 1 ، القاهرة ، 1994 .

(25) . الشهرستاني " أحمد عبد الكريم " ، **الملل و النحل ، تح:** أمير علي مهنا . **علي حسن فاعور** ، ط: 3 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1993 .

(26) . إبن الصيرفي " **أبي القاسم علي** " ، **الإشارة إلى من نال الوزارة ، تح: عبد المخلص** ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي ، القاهرة ، 1923 .

(27) . الطبري " **أبي جعفر محمد** " ، تاريخ الأمم و الملوك ، تح: أبو الفضل إبراهيم ، ج: 11 ، دار السويدان ، بيروت .

(28) . العبدري " **أبي عبد محمد** " ، **رحلة العبدري ، تح:** علي إبراهيم الكردي ، دار سعد للطباعة و النشر و التوزيع ، ط: 2 ، 2005 .

(29) . العكبري " **أبو عبد ** " ، الإبانة عن شريعة الفرق الناجية و مجانبة الفرق المذمومة ، تح: **رضا بن نعسان** ، ج: 1 ، دار الراية لنشر و التوزيع ، ط: 1 ، الرياض ، 1988 .

(30) . الغرناطي " لسان الدين إبن الخطيب " ، **أعمال الأعلام ، تح: أحمد مختار العبادي . محمد** إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1964 .

(31) . الغزالي " **أبو حامد** " ، فضائح الباطنية ، تح: عبد الرحمن البدوي ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت .

(32) . أبي الفداء " عماد الدين إسماعيل " ، تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت .

(33) . إبن فرحون " إبراهيم بن نور الدين " ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، تح: مأمون بن محي الدين جنان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1996 .

(34) . القاضي النعمان " أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي " ، إختلاف أصول المذاهب ، تح: مصطفى غالب ، دار الأندلس للطباعة و النشر والتوزيع ، ط: 3 ، بيروت .

(35) . (__________) ، إفتتاح الدعوة ، تح: فرحات الدشراوي ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1986 .

(36) . (__________) ، المجالس و المسايرات ، تح: الحبيب الفقي . إبراهيم شبوح ، محمد اليعلاوي ، دار المنتظر ، ط: 1 ، بيروت ، 1996 .

(37) . (__________) ، دعائم الإسلام ، تح: آصف بن علي أصفر فيضي ، ج: 1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1963 .

(38) . القزويني " زكريا بن محمد " ، آثار البلاد و أخبار العباد ، دار صادر ، بيروت .

(39) . القلقشندي " الشيخ أبي العباس أحمد " ، صبح الأعشى ، ج: 3 ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1914 .

(40) . المارزي " أبو عبد محمد " ، فتاوى المارزي ، تح: الطاهر المعموري ، الدار التونسية لنشر ، تونس ، 1994 .

(41) . المالكي " أبي بكر عبد " ، رياض النفوس - في طبقات علماء القيروان و إفريقية و زهادهم و نساكهم و سير من أخبار فضلائهم و أوصافهم ، تح: بشير البكوش . محمد العروسي المطوي ، ج: 2 ، دار الغرب الإسلامي ، 2005 .

(42) . المالكي " إبن الصغير " ، أخبار الأئمة الرستميين ، تح: محمد ناصر . إبراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986 .

(43) . مؤلف مجهول ، الإستبصار في عجائب الأمصار ، نشر و تعليق: سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد .

(44) . مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ، تح: عبد القادر بوبابية ، دار أبي رقراق للطباعة و النشر ، الرباط ، 2005 .

(45) . المراكشي " إبن عذاري " ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تح:س. كولان . أ ليفي بروفنسال ، ج: 1 ، دار الثقافة ،ط: 3 ، بيروت ، 1983 .

(46) . المراكشي " عبد الواحد " ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح: محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجاني للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1994 .

(47) . المعز بن باديس الصنهاجي " أبو التميم " ، عمدة الكتاب و عدة ذوي الألباب ، تح: نجيب مايل الهروي ، مجمع البحوث الإسلامية ، ط: 1 ، إيران .

(48) . المعز لدين الله الفاطمي " أبو التميم معد " ، أدعية الأيام السبعة ، تح: إسماعيل قربان . حسين يوناولا ، دار الغرب الإسلامي ، ط: 1 ، بيروت ، 2006 .

(49) . المقريزي " تقي الدين أحمد " ، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تح: جمال الدين الشيال ، ج: 1 ، مطابع الأهرام التجارية ، ط: 2 ، القاهرة ، 1996 .

(50) . النوبختي " حسن بن موسى " ، فرق الشيعة ، تح: عبد المنعم الخفي ، دار الرشد لطابع و النشر والتوزيع ، ط: 1 ، القاهرة ، 1992 .

(51) . النويري " شهاب الدين أحمد " ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تح: عبد المجيد ترحيني ، ج:24 ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(52) . ياقوت الحموي " شهاب الدين أبي عبد الله " ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977 .

المراجع :

أ - بالغة العربية :

(1) . أبي عبيدة حسن " آل سليمان " ، ردود القرطبي على الشيعة ، الدار الأثرية .

(2) . أحمد بن يوسف " أطفيش " ، شرح العقيدة التوحيد ، تح: مصطفى بن ناصر وينتن ، المطبعة العربية ، ط: 1 ، غرداية ، 2001 .

(3) . إدريس " هادي روجي " ، الدولة الصنهاجية ، تر: حمادي الساحلي ، ج: 1 ، دار الغرب الإسلامي ،ط: 1 ، بيروت ، 1992 .

(4) . إسماعيل " محمود " ، الأدارسة 176 - 375 هـ - حقائق جديدة - ، مكتبة مدبولي ،ط: 1 ، القاهرة ، 1991 .

(5) . أيمن فؤاد " السيد " ، الدولة الفاطمية - تفسير جديد - ، الدار المصرية اللبنانية للطباعة والنشر و التوزيع ، ط: 1 ، القاهرة ، 1992 .

(6) . بكير بن سعيد " أعوشت " ، دراسات إسلامية في أصول الإباضية ، دار التضامن للطباعة ، ط: 1 ، القاهرة ، 1988 .

(7) . بوزياني " الدراجي " ، دول الخوراج و العلويين في بلاد المغرب و الأندلس ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2007 .

(8) . جورج " مارسي " ، بلاد المغرب و علاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، تر: مصطفى أبو ضيف أحمد ، منشأة المعارف ، الإسكندرية .

(9) . حسن إبراهيم " حسن " . أحمد "شرف" ، عبيد الله المهدي - إمام الشيعة الإسماعيلية و مؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب - ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1947 .

(10) . حسن أحمد " حضري " ، علاقات الفاطميين في مصر و دول المغرب (362 - 547 هـ / 973 - 1171م) ، مكتبة مدبولي ،ط: 1 ، بيروت ، القاهرة .

(11) . حسين " مؤنس " ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، دار الرشاد ، 2004 .

(12) . رشيد " بورويبة " ، الدولة الحمادية ، تاريخها و حضارتها ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1977 .

(13) . راضي " دغفوس " ، دراسات في التاريخ الغربي الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، ط: 1 ، بيروت ، 2005 .

(14) .سعد بن موسى "سعد " ، موقف الإمام الذهبي من الدولة العبيدية نسبًا و معتقدًا ، دار القاسم لنشر و التوزيع ، ط: 1 ، الرياض ، 2006 .

(15) . سعد عبد الحميد " زغلول " ، تاريخ المغرب الغربي - الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيين إلى قيام دولة المرابطين ، ج: 3 ، دار منشأ المعارف ، الإسكندرية.

(16) . عبد الحليم " عويس " ، دولة بني حماد - صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، دار الصحوة لنشر والتوزيع ، ط: 2 ، القاهرة ، 1991 .

(17) . عبد الحميد " بوسماحة " ، رحلة بني هلال إلى المغرب و خصائصها التاريخية و الإجتماعية و الإقتصادية ، دار السيل للنشر و التوزيع ، ج: 1 ، الجزائر ، 2008 .

(18) . عبد الرزاق " محمود إسماعيل " ، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، دار الثقافة ، ط: 2 ، الدار البيضاء " المغرب " ، 1985 .

(19) . عبد العزيز " فيلالي " ، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية و دول المغرب ، دار الفجر لنشر و التوزيع ، القاهرة .

(20) . علي محمد " الصلابي " ، الدولة الفاطمية ، مؤيية إقرا لنشر و التوزيع و الترجمة ، ط: 1 ، القاهرة ، 2006 .

(21) . (____________) ، نشر صفحات مطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية - الصراع بين أهل السنة و الرافضة ، مكتبة الصحابة ،ط: 1 ، القاهرة ، 2007 .

(22) . عبد محمد " جمال الدين " ، الدولة الفاطمية ، قيامها ببلاد المغرب و إنتقالها إلى مصر نهاية القرن الرابع هجري مع عناية بالجيش ، دار الثقافة لنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1991 .

(23) . علي حسن " الخربوطلي " ، أبو عبد الله الشيعي - مؤسس الدولة الفاطمية - ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، 1972 .

(24) . عمارة " علاوة " ، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2008 .

(25) . عصام الدين عبد الرءوف " الفقي " ، تاريخ المغرب و الأندلس ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، 1990 .

(26) . فرحات " الشراوي " ، الخلافة الفاطمية بالمغرب (296 - 365 هـ / 909 - 975م) - التاريخ السياسي و المؤسسات ، تر: حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ،ط: 1 ، بيروت ،1994.

(27) . فرهاد " دفتري " ، الإسماعليون في العصر الوسيط ، تر: سيف الدين القصير ، دار المدى للثقافة و النشر ،ط: 1 ، دمشق ، 1999 .

(28) . ليوس " برنار" ، أصول إسماعيلية و الفاطمية و القرمطية ، دار الحداثة ،ط: 1 ، 1980 .

(29) . مبارك بن محمد " الميلي " ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، تقديم و تصحيح: محمد الميلي ، ج: 2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر .

(30) . محمد خليفات " عوض " ، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية ، دار التضامن للطباعة ، ط: 1 ، القاهرة ، 1988 .

(31) . محمد عابد " الجابري " ، فكر إبن خلدون - العصبية و الدولة - ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت.

(32) . مصطفى " غالب " ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط: 1 ، بيروت .

(33) . محمد " الطالبي " ، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي (184 - 296 هـ /800 - 909م) ، تر: المنجي العيادي ، دار الغرب الإسلامي ، ط: 2 ، بيروت ، 1995 .

(34) . (___________) ، في تاريخ إفريقية (أعلام . مواقع . قضايا) دائرة المعارف الإسلامية التونسية ، تر: العربي عبد الرزاق ، بيت الحكمة ، 1994 .

(35) . محمد عيسى " الحريري " ، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي - حضارتها و علاقتها الخارجية بالمغرب و الأندلس ، دار القلم ، ط: 1 ، مصر ، 1987 .

(36) . موسى " لقبال " ، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي - نشأتها و تطورها - ، الشركة الوطنية لنشر و التوزيع ، ط: 1 ، الجزائر ، 1971 .

(37) . (______________) ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري (11م) ، الشركة الوطنية لنشر و التوزيع ، الجزائر .

(38) . ناصر عبد الكريم " العقل " ، الخوارج - أول الفرق في تاريخ الإسلام - ، دار إشبيليا لنشر و التوزيع ، ط: 1 ، الرياض ، 1998 .

(39) . نجيب " زبيب " ، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الأندلس ، ج: 2 ، دار الأمير ، ط: 1 ، بيروت ، 1995 .

(40) . نجم الدين " الهنتاني " ، المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي - إلى منتصف القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي - ، بتر الزمان ، تونس ، 2007 .

ب - بالغة الأجنبية :

(1). Emile Félix Gautier : l’islamisation de l’Afrique du nord - les siècles obscurs du Maghreb , Payot , paris , 1927 .

(2) . Ernest Marçais : berbérie de puis les temps les plus reculés jusqu’à la conquête française (1830) , Ernest Leroux éditeur , tome : 2 , paris

(3) . George Marçais : la berbérie musulmane et l’orient au moyen âge , Edition Afrique orient , 1991 , p : 193 .

(4) . Lacy A’ Leary. d.d : a short history of the Fatimid kalifate , kegan Paul , London , p : 200 .

الأطروحات و الرسائل الجامعية :

(1) . أمينة " بوتشيش" ، بجاية دراسة تاريخية و حضارية بين القرنين السادس و السابع هجريين ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، 2007 / 2008 .

(2) . حفيظ " كعوان " ، أثر الفقهاء المالكية الإجتماعي و الثقافي بإفريقية (2 - 5 هـ / 8 - 11م) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة العقيد الحاج لخضر ، باتنة ، 2007 / 2008 .

(3) . رضا " بنية " ، صنهاجة المغرب الأوسط - من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر (280 - 362 هـ / 699 - 973م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2005 / 2006 .

(4) . محمد " عليلي " ، الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة و الرستميين خلال القرنيين 2 - 3 هـ / 8 - 9م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2007 / 2008 .

(5). نول بلمداني " ظلم الرعي في بلاد المغرب الأوسط (4 - 5 هـ / 10 - 11م) ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط ، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، 2013 / 2014 .

(6) . محمد عباس " يحيى أبو المعاطي " ، الملكيات الزراعية و آثارها في المغرب و الأندلس (238 - 488 هـ / 852 - 1095م) ، رسالة مقدمة لنيل الدكتوراه ، كلية العلوم ، جامعة القاهرة ، 2000 .

- المقالات و الدوريات :

(1) . فاطمة " بالهواري " ، معارضة محمد بن خزر المغراوي للوجود الفاطمي في بلاد المغرب الأوسط ، مجلة عصور ، العدد: 3 ، وهران ، 2003 ، ص...ص:115...120 .

(2) . فوزية " كرراز" ، السيطرة الهلالية بالمغرب الإسلامي ، دورية كان تاريخية ، العدد : 12 ، جوان ، ص...ص: 51...55 .

(3) . عبد الرءوف " جرار" ، سقوط الدولة الفاطمية في المغرب ونبذ التشيع ، **مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات** ، العدد: 20 ، 2010 ، ص: 12 .

الفهارس العامة

فهرس الأعلام

- ب -

- ث -

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- ذ -

-ر-

- ز -

- س -

- ط -

- ع -

فهرس الأماكن الجغرافية

- أ -

- ب -

- ت -

فهرس القبائل و الجماعات

- ن -

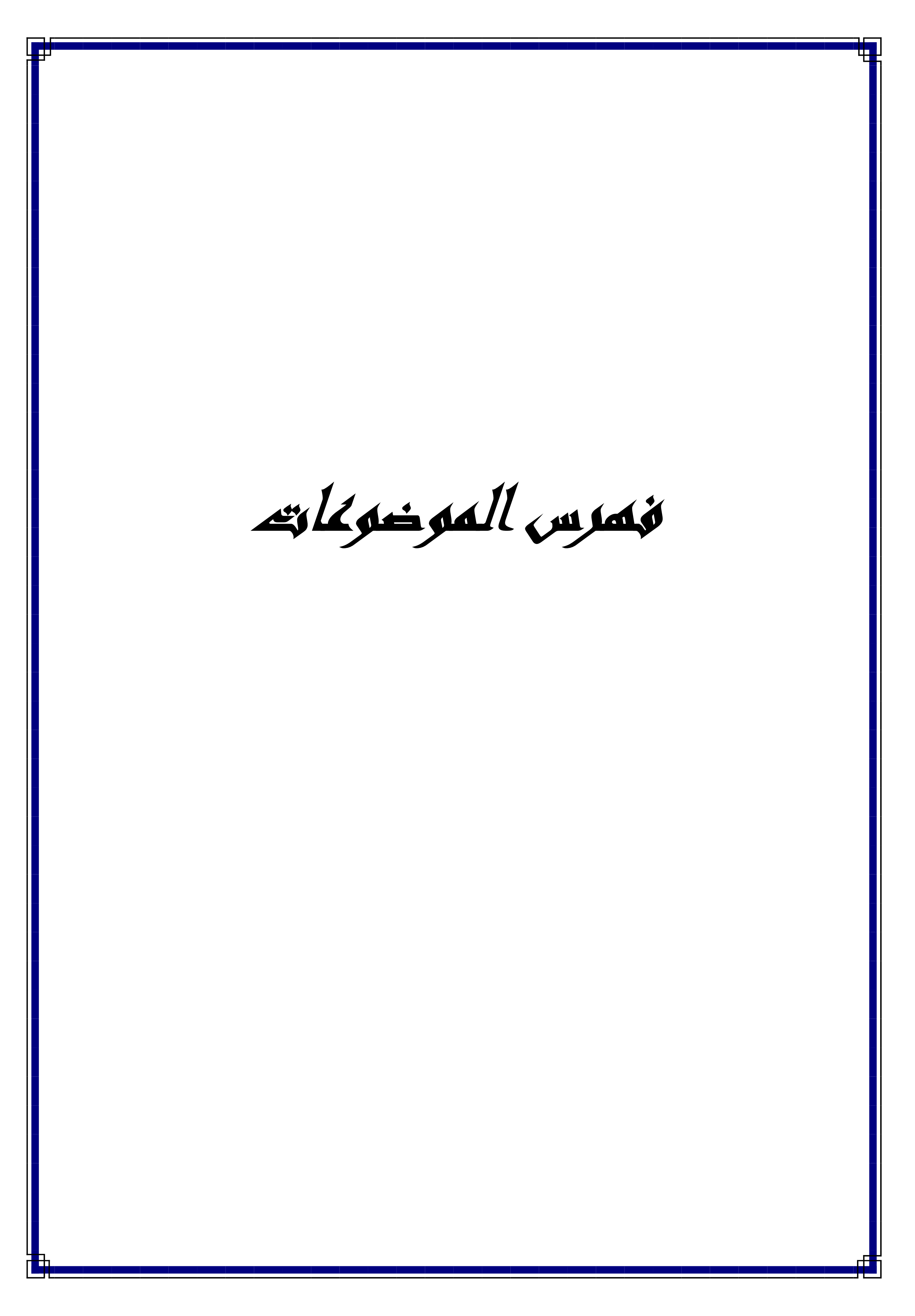
فهرس المذاهب و الأديان

- أ -

- د -

- م -

فهرس الآيات و الأحاديث



فهرس الموضوعات